الرَّوضةُ النَّدِيَّة

شَرح

العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة

للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزديّ الطّحاوي

(ت : ٣٢١ هـ)

للشيخ

محمد أحمد عامـوه





الروضة الندية شرح العقيدة الطحاوية
الشيخ محمد أحمد عاموه
الطبعة الأولى :٢٠١٦ م



دار النور المبين للنشر والتوزيع
عمّان، الأردن، تلفاكس: 0096264615859
Email: darannor@gmail.com
www.darannor.com

الوكيل المعتمد في اليمن



دار أبي حنيفة للنشر والتوزيع

٢٠١٦

الروضة الندية

شرح

العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزديّ الطّحاوي
(ت: ٣٢١ هـ)

للشيخ
محمد أحمد عامـوه





بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفوته من الخلق أجمعين اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فهذا شرح موجز لطيف على متن العقيدة الطحاويه سميته (الروضة الندية) والله أسأل أن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وينفع به من تلقاه بقلب سليم آمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفائدة الأولى

ترجمة الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى

اسمه ونسبه:

هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلَمَة بن عبدالملك الأزدي الحجري المصري الطحاوي.

أصله:

من قبائل حجر الأزد اليمنية وحجر بفتح الحاء وسكون الجيم فخذ من أفخاذ قبيلة الأزد ويقال لها أزد الحجر تمييزاً لها عن أزد شنؤه.

والأزد بفتح الهمزة وسكون الزاي أفخاذ كثيرة.

مولده:

ولد الإمام الطحاوي رحمه الله سنة٢٣٩هـ فيما رواه ابن يونس تلميذه وهو الصحيح الذي عليه الجمهور.

عصره:

لقد أكرم الله الإمام الطحاوي بمعاصرة أصحاب الأمهات الست كلهم وغيرهم من أئمة الحديث بل لقد شارك الإمام الطحاوي بعض هؤلاء في روايتهم وعلى سبيل المثال نجد من جملة مشايخ الطحاوي هارون بن سعيد الإيلي وقد روى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

مشايخه:

للطحاوي مشايخ كثيرون من أبرزهم:

١- الإمام إسماعيل المزني المصري.

٢- الإمام أبو حازم عبدالحميد البصري.

٣- الإمام أبو جعفر أحمد بن أبي عمران.

تلاميذه:

روىٰ عن الطحاوي خلق كثير منهم الطبراني والحافظ أحمد بن القاسم المعروف بابن الخشاب وأبو الحسن علي بن أحمد الطحاوي وغيرهم.

مصنفاته:

ترك مصنفات كثيرة من أشهرها:

١- معاني الآثار.

٢- مشكل الآثار.

٣- اختلاف العلماء.

٤- أحكام القرآن.

٥- مختصر الطحاوي في الفقه.

٦- هذه العقيدة المشهورة ببيان اعتقاد أهل السنة والجماعة.

ثناء العلماء عليه:

١- قال ابن عبدالبر كان الطحاوي كوفي المذهب وكان عالماً بجميع مذاهب الفقهاء.

٢- قال العيني أما الطحاوي فإنه مجمع عليه في ثقته وأمانته وفضيلته التامة ويده الطولىٰ في الحديث وعلله وناسخه ومنسوخه ولقد أثنىٰ عليه السلف والخلف.

٣- قال السيوطي الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة وكان ثقة ثبتاً فقيهاً لم يخلف بعده.

وفاته:

توفي الإمام الطحاوي رحمه الله سنة ٣٢١هـ بمصر ودفن بالقرافه رضي الله عنه وأرضاه.

سندي إلى العقيدة الطحاويه

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فأروي العقيدة الطحاويه عن مشايخي الأعلام العلامة المسند أحمد جابر جبران والعلامة المسند السيد محمد بن علوي المالكي والعلامة السيد محمد إبراهيم طاهر الأهدل ثلاثتهم عن الشيخين السيد علوي عباس المالكي والشيخ محمد ياسين الفاذاني وهما عن الشيخ العلامة عبدالله بن محمد غازي عن شيخه العلامة الشيخ عبدالحق الإله بادي عن شيخه العلامة عبدالغني المجددي عن العلامة الشهير محمد عابد السندي عن شيخه السيد أحمد بن سليمان الهجام عن العلامة الشيخ محمد بن علاء الدين المزجاجي عن العلامة أبي الأسرار الشيخ حسن العجيمي عن الصفي أحمد بن محمد العجل عن الإمام يحيى بن مكرم الطبري عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري قال أنبأنا الحافظ أبو نعيم المستملي قال أنبأنا الشريف أبو الطاهر بن الكويك عن العلامة الشيخ إبراهيم بن بركات البعلي عرف بابن القرشِه قال أنبأنا الشيخ أبو عبدالله محمد بن الحسن اليونيني قال أنبأنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني قال أنبأنا أبو الفتح إسماعيل بن الفضل بن أحمد السراج بن الأخشيد قال أنبأنا أبو الفتح منصور بن الحسين التالي قال أنبأنا الحافظ أبوبكر محمد بن إبراهيم بن علي المقري قال أنبأنا مؤلفه الإمام الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامه الأزدي الطحاوي رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه.... آمين.

ولي طرق أخرى غير هذه مبسوطة في أثباتي والحمد لله رب العالمين وانظر طرفاً منها في شرحي الكبير على الطحاوية المسمى بالمنح الربانية.

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الحمد لله رب العالمين[٢] والعاقبة للمتقين[٣] وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله أجمعين[٤].

هذا ما رواه الإمام أبو جعفر الطحاوي[٥] في ذكر [٦] بيان[٧] اعتقاد[٨] أهل السنة

---

(١) إبتدأ المصنف رسالته بالبسملة لسببين:
الأول الإقتداء بكتاب الله عز وجل إذ أنه مفتتح بالبسملة ترتيباً لا نزولاً
الثاني الإقتداء بهدي رسول الله ﷺ إذ أنه قد تواتر عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم تواتراً معنوياً افتتاح كتبه ورسائله بالبسملة.

(٢) الثناء كله مستحق لله مالك العالمين أوله وآخره ظاهره وباطنه والعالمين جمع عالَم بفتح اللام وهو ما سوىٰ الله تعالىٰ.

(٣) أي العاقبه المحمودة للمتقين جمع متق والتقوىٰ هو أن يجدك الله حيث أمرك ويفتقدك حيث نهاك.

(٤) أتىٰ بها امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب آية رقم (٥٦) ورغبة في عظيم ثواب الله للمصلين علىٰ سيدنا ومولانا محمد ﷺ وأجمعين تأكيد.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الذكر قد يكون لسانياً وقد يكون قلبياً ونفسياً والإشارة قد تكون إلىٰ ما هو موجود خارجاً وقد تكون إلىٰ ما هو موجود في النفس وعلىٰ هذا فالإشارة الخارجية إلىٰ ما هو في النفس تكون مجازاً باعتبار وجوده في الخارج والإشارة كما هو معلوم لا تتعلق إلا بما هو معلوم مؤكد ويقيني فالواجب أن تكون هذه العقائد معلومة ويقينية إذن

(٧) يعني تفصيل ما يكفي المرء إذا اعتقده.

(٨) قال العلامة العضد في المواقف مع شرح الجرجاني والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل فإن الأحكام المأخوذة من الشرع قسمان أحدهما ما يقصد به نفس الاعتقاد كقولنا الله تعالىٰ عالِم قادر سميع بصير وهذه تسمىٰ اعتقادية وأصلية وعقائد وقد دوّن علم الكلام لحفظها والثاني ما يقصد به العمل كقولنا الوتر واجب والزكاة فريضة وهذه تسمىٰ عملية وفرعية وأحكاماً ظاهرية وقد دوّن علم الفقه لها.

والجماعة[١] على مذهب[٢] فقهاء الملة[٣] أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي[٤] وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري[٥] وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني[٦] رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول[٧] الدين[٨] ويدينون به لرب العالمين.

قال الإمام رحمه[٩] الله تعالى وبه[١٠] قال الإمامان المذكوران[١١] رحمهما الله تعالى

---

(١) المقصود بأهل السنة والجماعة هم الذين نصروا السنة واتبعوا الجماعة أي النبي ﷺ وأصحابه ولهذا سموا بأهل السنة والجماعة وهو علم على أهل الحق من الماتريدية و الأشاعرة.

(٢) المذهب اسم مكان في الأصل من ذهب يذهب ذهاباً ومذهباً ثم استعير للطريقة التي تحتوي على الأدلة والأساليب في تقرير المفاهيم فالإمام الطحاوي ينص هنا على أنه يسير في توضيح العقائد على الطريقة التي اتبعها الإمام الأعظم وصاحباه ﷺ.

(٣) الملة هنا بمعنى الدين وهؤلاء الثلاثة الذين سماهم الطحاوي من أعظم فقهاء الدين ولا يعني أنه لا يوجد غيرهم بل هؤلاء الذين اتبع الطحاوي طريقتهم.

(٤) وما أدراك ما أبو حنيفة إنه الإمام الأعظم والمجتهد الأفخم سراج الأمة تابعي جليل ولد في عهد الصحابة سنة ٨٠هـ وتوفي ببغداد سنة ١٥٠هـ مناقبه لا تحصى وفضائله لا تستقصى وانظر تحفة الإخوان مع التعليقات الحسان في ثلاثة أجزاء.

(٥) صاحب أبي حنيفة الأول حافظ ثقة ثبت عظيم الشأن بث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض مات رحمه الله سنة اثنين وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثمانين رحمه الله.

(٦) صاحب أبي حنيفة الثاني ومدون المذهب النعماني كان يملأ القلب والعين أخذ عنه الشافعي وأثنى عليه مات سنة تسع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنه رضي الله عنهم أجمعين.

(٧) الأصول جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره وأصول الدين اعتاد العلماء أن يطلقوا هذا الإسم على العقائد سواء ما كان منها ثابتاً على سبيل القطع أم على سبيل الظن أعني ما لم يحتمل الخلاف فيه وما احتمله فالطحاوي يقصد بالأصول الدينية ما كان منها مطلوباً الاعتقاد به لذاته وهو مصطلح العقائد ولم يفرق بين ما كان منه يحتمل الخلاف وما لم يحتمله فأصول الدين عند الطحاوي ترادف العقائد والفروع ترادف العمليات.

(٨) قال السيد الجرجاني هو وضع إلهي يدعو أرباب العقول قبول ما عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٩) الأعظم أبو حنيفة النعمان ﷺ.

(١٠) أي بقول الإمام الأعظم ﷺ.

(١١) أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى.

نقول في توحـيد الله معتقـدين[١] بتوفيق الله تعالىٰ[٢] إنَّ[٣] الله تعالىٰ واحد[٤] لا شريك

---

(١) حال من فاعل نقول والاعتقاد هو الحكم الجازم الذي لا يقبل التشكيك.

(٢) وهو بتوفيق من الله تعالىٰ لنا لا بحولنا ولا بقوتنا.

فائدة: إنما عبر المصنف بنقول لأنه يتكلم عن عقيدته وعقيدة أئمة الهدىٰ المذكورين وهي عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة فكأنه يقول أقول أصالةً عن نفسي ونيابة عن الأئمة المذكورين في إفراد الله تعالىٰ بأنواع العبادة حالة كوننا معتقدين وأراد به الجزم الذي لا يقبل التغيير ولا التشكيك بتوفيق الله تعالىٰ لنا لا بحول منا ولا بقوة إذ لا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فائدة أخرىٰ في ذكر مبادئ فن التوحيد:

١- حده: علم التوحيد هو إفراد الله بالعبودية.

٢- موضوعه: ذات الله تعالىٰ وصفاته من حيث إثبات ما يجب له من صفات الكمال ويستحيل عليه من صفات النقصان وغير ذلك من العقائد الدينية.

٣- غايته: الفوز بسعادة الدارين.

٤- فضله: هو أشرف العلوم الدينية.

٥- واضعه: الله عز وجل بواسطة رسله.

٦- اسمه: يسمىٰ علم التوحيد وعلم الكلام.

٧- استمداده: من الأدلة العقلية والنقلية.

٨- نسبته: هو اصل العلوم الدينية.

٩- حكمه: الإفتراض العيني علىٰ كل فرد.

مسائله: قضاياه المبحوث فيها عنه.

(٣) من بداية هذا الكلام إلىٰ آخر الكتاب مقول لقول الإمام نقول وهو ومقوله مقول لقول المصنف قال الإمام.

(٤) اثبت الإمام الطحاوي هنا صفة الوحدانية ودلائلها في القرآن كثير من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

والوحدانية صفة سلبية تقال علىٰ ثلاثة أنواع

الأول: الوحدة في الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالىٰ بمعنىٰ عدم قبولها الانقسام.

والثاني: الوحدة في الصفات والمراد بها انتفاء النظير له تعالىٰ في كل صفة من صفاته فيمتنع أن يكون له تعالىٰ علوم وقدرات متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات بل علمه تعالىٰ واحد ومعلوماته كثيرة وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة وعلىٰ هذا جميع صفاته. =

له(١) ولا شيء مثله(٢) ولا شيء يعجزه(٣) ولا إله غيره. قديم(٤) بلا ابتداء(٥) دائم(٦) بلا إنتهاء(٧) لا يفنى ولا يبيد(٨) ولا يكون إلا ما يريد(٩)..........

= والثالث: الوحدة في الأفعال والمراد بها انفراده تعالى بإيجاد جميع الكائنات عموماً وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى في شيء من الممكنات أصلاً

(١) قطعاً لأن الشراكة تستلزم انقسام المِلْكِ وعدم التمكن من التصرف فيه إلا بإذن الآخر وهذا باطل لا يجوز في حق الله تعالى.

(٢) تأكيد لصفة الوحدانية إذ لو كان له مثل لم يكن واحداً ولزم منه إما حدوث القديم أو قدم الحادث، ضرورة أن أحد المثلين أن يسد أحدهما مسد الآخر وأن لا يختص أحدهما بصفة دون الآخر وإلا لم يكن مثلاً وأين الباطل من الحق؟ والمخلوق ممن له الأمر والخلق والزائل من الأزلي والفاني من السرمدي إنما يقع الإشكال في أوصاف من له أشكال وإنما تضرب الأمثال لمن له أمثال وأما من انفرد بالعظمة والجلال فما للعقل في إدراكه مجال فسبحانه من إله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير – المتعال.

(٣) عن فعل ممكن ما وجوداً وعدماً والعجز صفة لا يتأتى معها إيجاد شيء ولا إعدامه وهي ضد القدرة.

(٤) قدماً ذاتياً.

(٥) أي ليس مسبوقاً بعدم ووصف الله بالقدم ثابت ففي سنن أبي داود بإسناد رجاله ثقات عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم.... الحديث فالنبي ﷺ وصف السلطان الذي هو صفة لله تعالى بكونه قديماً فيجوز إذن أن يوصف الله تعالى بكونه قديماً لأن وصف وصفه وصفٌ له جل شأنه وجاء في بعض طرق حديث أن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة اسم القديم أخرجه ابن ماجة بإسناد ضعيف ولكن الإجماع منعقد على وصف الله تعالى بالقدم قال الحافظ الزبيدي في شرح الإحياء (أجمعت الأمة على وصفه تعالى به) ومعنى القدم عدم الافتتاح للوجود أي أنه تعالى غير مسبوق بزمن لذلك قال الإمام الطحاوي قديم بلا ابتداء لأن القدم الزماني لابد أن تبتدئ فيه آنات زمانية متوالية وأما قدم الله تعالى فلا ابتداء فيه مطلقاً فعلم من هذا أن المراد بالقدم نفي الأسبقية بشيء فالله أول بلا ابتداء.

(٦) أي باق.

(٧) أي ليس ملحوقاً بعدم فالله آخر بلا نهاية قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

(٨) أي لا يزول ولا يتقطع بقاؤه قال بعض العلماء إذا ثبت أن الله تعالى قديم بالمعنى الذي وضحناه وأنه دائم كذلك فإنه يلزم من ذلك أنه لا يفنى ولا يبيد فهذا الحكم لازم لزوماً ضرورياً والله أعلم

(٩) أي لا يوجد في ملكه إلا ما يشاء والإرادة صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى تخصص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه واعلم أن الإرادة والمشيئة واحدة عندنا معشر أهل السنة في حق الله تعالى أما في جانب العباد فيفترقان حتى لو قال لامرأته أردت طلاقك لا تطلق ولو قال شئت طلاقك يقع لأن الإرادة مشتقة من =

لا تبلغه[١] الأوهام[٢]..

= التردد وهو الطلب والمشيئة عبارة عن الإيجاد فكأنه قال أوجدت طلاقك وبه يقع الطلاق كذا ذكروه قال القونوي فيه نظر إذ لو كان كذلك لما أحتيج إلى النية والحاصل أن المشيئة عبارة عن الإرادة التامة التي لا يتخلف عنها الفعل والإرادة تطلق على التامة وغير التامة فالأولى هي المرادة في جانب الله تعالى والثانية في جانب العباد والله أعلم.

واعلم كذلك أن مذهب أهل الحق أن كل ما أراده الله تعالى فهو كائن وكل كائن فهو مراد له تعالى وإن لم يكن مرضياً له ولا مأموراً به كالكفر فإنه أراده وشاءه من الكفار ولم يرضه لهم ولا أمرهم به قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] وهذا معنى ما اشتهر عن السلف في قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فإنه تعالى إذا لم يشأ كونه فإنه يكون قد شاء عدمه.

(١) البلوغ كما قال العلامة الأصفهاني في مفردات القرآن الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه ا. هـ.

(٢) الوهم هو كما عرفه الجرجاني قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته وهذه القوة هي التي تحكم بها الشاة أن الذئب مهروب عنه وأن الولد معطوف عليه وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها، مستخدمة إياها استخدام العقل للقوى العقلية بأسرها ا. هـ. وفسر الوهم بالخيال والخيال هو كما عرفه الجرجاني قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها فهو خزانة للحس المشترك ومحله مؤخر البطن الأول من الدماغ ا.هـ

ومن هذا يتضح أن الخيال مساعد للوهم والوهم هو الحاكم بالاستعانة بالحس وكل منهما لا يمكن أن يتصرف إلا في الأمور المحسوسة ومن هنا يتضح لنا أن مراد الطحاوي رحمه الله أن الأوهام والتخيلات لا تبلغ الله تعالى أي لا تنتهي إليه ولا تشارف ذلك فالوهم لا يمكنه أن يحكم على الله تعالى بنسبته إلى صورة معينة إليه ولا غير معينة فنحن لا نستطيع أن نتصور الله تعالى بخيالنا بأن نفترض له صورة أو شكلاً معيناً أو ليس معيناً روى البيهقي في شعب الإيمان عن يحيى بن معاذ رحمه الله قال جملة التوحيد في كلمة واحدة وهي أن لا تتصور في وهمك شيئاً إلا واعتقدت أن الله عز وجل هو مالكه من جميع الجهات ا. هـ. فتقرر لك الآن أن من أصول أهل السنة أن الوهم والخيال لا يبلغان الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى ١١ وهذه التخيلات منشؤها وسوسة الشيطان وكراهتها علامة محض الإيمان وهي لا تكون إلا في المؤمن فعن ابن مسعود ﷺ قال سئل النبي ﷺ عن الوسوسة قال (تلك محض الإيمان) رواه مسلم.

و لا تدركه(١) الأفهام(٢) ولا تشبهه(٣) الأنام(٤) حي لا يموت(٥)........................

---

(١) قال الأصفهاني في المفردات وأدرك: بلغ أقصى الشيء وأدرك الصبي بلغ غاية الصبا وذلك حين البلوغ ا.هـ وفي القاموس الدَّرَك: محركه اللحاق واستدرك الشيء بالشيء: حاول إدراكه به وأدرك الشيء: بلغ وقته وانتهى وفني ا. هـ
فإدراك الشيء لغة معناه اللحوق به والوصول إليه والانتهاء إليه.

(٢) في القاموس فهم كفرح – فَهْماً ويحرك وهي أفصح وفهامه ويكسر.... علمه وعرفه بالقلب ا. هـ فيستفاد من هذا أن الفهم في اللغة العلم بالقلب ومن هذا يتضح كلام الإمام الطحاوي وهو أن الله تعالى لا تحيط القلوب والعلوم بحقيقته لا ذاته ولا صفاته ومن أصول أهل السنة أن ذاته تعالى لا يمكن تعقّلها والعلم بحقيقتها قال ابن عباس " تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله " ذكره البيهقي في الأسماء والصفات والله تعالى يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ الشورى ١١

(٣) قال صاحب القاموس الشِّبْه بالكسر والتحريك المِثل ا. هـ

(٤) الأنام المخلوقات وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه والمعنى أنه تعالى مخالف للحوادث فلا يشبهه تعالى أحد لا في صفاته ولا في أفعاله قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] قال ابن عباس في تفسير هذه الآية هل تعلم له عز وجل مثلاً أو شبهاً ذكره البيهقي في شعب الإيمان.
وأخرج الترمذي عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فالصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤] قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.
واعلم أن المصنف قد أعرض عن بحث الوجود واكتفى بما هو ظاهر في مقام الشهود فالوجود ثابت لله تعالى معلوم ضرورة للكافر فضلاً عن المسلم ففي التنزيل قوله تعالى﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق كما يشير إليه قوله تعالى ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم: ٣٠] وإنما جاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لبيان التوحيد وتبيان التفريد ولذا أطبقت كلمتهم واجتمعت حجتهم على كلمة التوحيد بأن يقولوا لا إله إلا الله ولم يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا الله موجود بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد ولذا صدر المؤلف عقيدته بشهادة التوحيد.

(٥) قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٤] فالله تعالى متصف بصفة الحياة وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى لا تتعلق بشيء وهي شرط عقلي لسائر الصفات كما أن الوجود شرط لها وكما أن =

قيوم لا ينام[١] خالق[٢] بلا حاجة[٣] رازق لهم[٤] بلا مؤنة[٥] مميت[٦] بلا مخافة[٧] باعث بلا مشقة[٨] ما زال[٩]..

= حياته تعالى أزلية فهي أبدية كما نص على ذلك بقوله رحمه الله لا يموت أي أبداً إذ من ثبت قدمه استحال عدمه قال تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

(١) قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] والقيوم من أسمائه الحسنى وهو القائم على كل نفس بما كسبت وقيل هو الحافظ وقيل القائم بتدبير أمر الخلق وقيل القائم بذاته المقيم لغيره وأكد المصنف هذا المعنى بقوله لا ينام أي لا يأخذه تعالى ما يأخذ الحيوانات من آفة النوم وهي حالة تعرض للحيوان عن استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الإحساس رأسياً قال السيد والله تعالى منزه عن ذلك إذ من يعتريه ذلك غير تام الحياة ناقص الحفظ والقيام فكيف وهو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

(٢) أي لجميع خلقه قال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] والخلق هو الإيجاد بعد العدم.

(٣) الحاجة هي توقف كمال الواحد على غيره فالله تعالى هو الغني الحميد وتعالى الله أن يحتاج إلى غيره وكل شيء سواه مفتقر إليه وهو سبحانه الغني عن كل ما عداه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

(٤) فضلاً منه تعالى قال تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ......﴾ [الروم: ٤٠] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣] وقال تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

(٥) في القاموس مان القوم احتمل مؤونتهم أي قوتهم فالله تعالى رازق بلا مؤنه تثقله أي من غير تحمل كُلفه.

(٦) أي لخلقه عند انقضاء آجالهم.

(٧) أي لا يلحقه جل في علاه في ذلك – يعني الإماته لخلقه – خوف ولا رهبة جل جلاله سبحانه.

(٨) أي باعث لخلقه عند إرادة بعثهم بلا تعب يلحقه في ذلك قال تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

والحاجة والمؤنة والمخافة والمشقة ونحوها من سمات النقص والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك.

واعلم أن الموت صفة وجودية تظهر عند مفارقة الروح للجسد ويدل لكونه وجودياً قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [تبارك: ٢] والعدم لا يوصف بكونه مخلوقاً.

(٩) زال ماضي يزال من أخوات كان ومعناه النفي ولهذا لا تستعمل إلا مصحوبة بحرف النفي لأنهم يقصدون بها الإثبات ونفي النفي إثبات.

بصفاته قديماً[١] قبل خلقه[٢] لم يزدد بكونهم[٣] شيئاً لم يكن قبلهم[٤] من صفاته[٥] وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً[٦] ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق[٧] ولا بإحداث البرية استفاد اسم البارئ[٨]...

---

(١) فيه دلالة على أن الله تعالى قديم بذاته وصفاته فلم يتصف عز وجل بشيء حادث ولا بصفة حادثة والحادث هو الموجود بعد العدم والله عز وجل قديم وصفاته قديمة قال تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

واعلم أن لفظ القديم لا يطلق إلا على الأمر الوجودي فكأن الإمام الطحاوي أشار بكلامه هذا إلى أن صفاته تعالى وجودية.

(٢) فيه دلالة على أن الله كان ولم يكن شيئ معه وهذا من أصول أهل السنة الثابتة بالبرهان القطعي.

(٣) أي كون المخلوقات والمقصود بذلك وجودهم ووجود المخلوقات هو صفة من صفاتهم هم لا من صفات الخالق جل شأنه فإذا خلقهم جل وعز فإنه لا يستفيد من خلقه لهم أي صفة له بل إن صفاته تبقى كما كانت قبل أن يخلقهم وذلك لأن الله لو استفاد بخلقه للمخلوقات أي صفة لكانت هذه الصفة إما نقصاً أو كمالاً ويستحيل أن تكون نقصاً فيبقى أن تكون كمالاً ولكن إذا كان ما استفاده الله بسبب خلقه لهم كمالاً له للزم عن ذلك أن كماله مستفاد من المخلوقات وهذا نقص واحتياج لا يليق بالله تعالى.

هذه هي عقيدة أهل السنة في الله عز وجل وهي ثابتة لله تعالى من حيث هو غني عن العالمين فلا يصح مطلقاً القول بأن الله تعالى لما كان موجوداً قبل خلقه لم يكن متصفاً بصفة معينة ثم لما أوجد خلقه اتصف بصفة جديدة فإنه يلزم من يقول بمثل ذلك – ولابد – القول بإفتقار الله تعالى إلى مخلوقاته وهو لازم باطل تعالى الله عن الاحتياج لأحد سبحانه هو الغني عن العالمين.

(٤) أي قبل وجودهم.

(٥) متعلق بمحذوف صفة لشيء أي لم يزدد بوجودهم شيئاً من صفاته لم يكن قبل وجودهم.

(٦) هذا القول تفريع على ما سبق فالله تعالى كما كان موصوفاً بصفاته منذ الأزل فإنه يبقى موصوفاً بهذه الصفات إلى الأبد فالله عز وجل لا يطرأ عليه تغير ولا حدوث صفة فلا يتصف الله عز وجل بغير ما كان منذ الأزل موصوفاً به ولو كان الله يجوز اتصافه بالحادث لكان محتاجاً إلى الحادث وهذا نقص وافتقار لا يليق بالله تعالى وقد قام البرهان القطعي على غناه تعالى عن العالمين.

(٧) الله عز وجل متصف بكونه خالقاً منذ الأزل وفي الأزل لم يكن ثَمَ مخلوق إذن فالله تعالى خالق قبل وجود المخلوقات والمخلوقات لم تكن لتوجد إلا بخلقه تعالى لها وكونه خالقاً صفة كمال له تعالى وهذه الصفة ثابتة لله قبل إيجاد المخلوقات قال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

(٨) أي سبحانه وتعالى هو البارئ قبل إيجاد البرية.

له معنىٰ الربوبية ولا مربوب[١] ومعنىٰ الخالقية ولا مخلوق[٢] . وكما أنه محي الموتىٰ بعد ما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم[٣] ذلك بأنه علىٰ كل شيء قدير[٤] وكل شيء إليه فقير[٥] وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلىٰ شيء[٦]

---

(١) الربوبية لها معان ترجع إلىٰ أصل واحد هو نسبة التصرف المطلق الذي لا يقيده قيد إلىٰ الله تعالىٰ وحده في تدبير شئون العالمين وهذا المعنىٰ لا يجوز نسبته إلىٰ غير الله تعالىٰ.

ومن معاني الربوبية القدرة علىٰ الخلق والتدبير وهذه المعاني ثابتة لله تعالىٰ قبل وجود أي مربوب مطلقاً وفي هذه العبارة تأكيد علىٰ أن الله تعالىٰ موجود قبل المخلوقات كلها ومعنىٰ الربوبية لم يكتسبه الله تعالىٰ من وجود المخلوقات ولم يطرأ عليه بعد خلقه للمربوبين فإن هذا ينافي كماله وغناه المطلق.

(٢) الخالق هو الله تعالىٰ ولم يتصف بكونه خالقاً بعد أن أوجد المخلوقات بل هو تعالىٰ خالق قبل إيجاد الخلق وذلك لأن صفة الخلق صفة ثابتة له جل شأنه قبل وجود المخلوقات فبهذه الصفة أوجد المخلوقات ويستحيل أن يكون قد اكتسبها منهم بل هم اكتسبوا وجودهم منه جل شأنه.

(٣) يؤكد الطحاوي رحمه الله كون صفات الله تعالىٰ ليست مستمدة من أفعاله جل شأنه فإن أفعاله حادثة وصفاته قديمة ولذلك فإنه سبحانه وتعالىٰ يتصف بأنه محي الموتىٰ من قبل إيجاد المخلوقات بل وقبل إماتتهم وكذلك يسمىٰ خالقاً من قبل خلقهم.

والسبب في تسميته تعالىٰ بهذه الأسماء هو قيام الصفات التي بها يكون منشأ الخلق وهي القدرة والإرادة والعلم وقيام هذه الصفات بذاته جل شأنه أزلي ولا يعتمد علىٰ إيجاد الله تعالىٰ لهذه المخلوقات لأن نفس إيجاده متوقف علىٰ وجود هذه الصفات له تعالىٰ ومن هنا نعلم أن الله تعالىٰ لا يستفيد اتصافه بالصفات ولا تسميته بالأسماء من الأفعال التي يقوم بها بل من الصفات التي يتصف بها ولهذا فإن أسماءه تعالىٰ وصفاته تعالىٰ أزلية مع كون أفعاله حادثة، فأفعاله ناشئة عن الصفات وليست صفاته ناشئة عن أفعاله.

(٤) هذا تعليل للحكم الذي وضحه سابقاً وتقريره أن الله تعالىٰ خالق قبل إيجاد المخلوقات ورب قبل إيجاد المربوبات لإتصافه تعالىٰ بأنه علىٰ كل شيء قدير فالقدرة منشأ كل تلك الصفات وهي صفة قديمة قائمة بالله تعالىٰ ولأجل اتصافه تعالىٰ بالقدرة فهو الرب والخالق والرازق والمحي والمميت.... الخ فكل هذه الصفات راجعة إلىٰ القدرة كما ترىٰ فلو لم يكن تعالىٰ قديراً لما صح اتصافه بأي من هذه الصفات والله أعلم.

(٥) وهو الغني المطلق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

(٦) يؤكد الطحاوي القواعد السابقة بهذه العبارة التي تنص علىٰ أن الله تعالىٰ لا يحتاج إلىٰ شيء لثبوت غناه المطلق قال تعالىٰ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١] والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جداً فمن خالف ما سبق شرحه لزمه القول بأن الله محتاج إلىٰ غيره من المخلوقات وهذا كفر بالله والعياذ بالله.

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][١] خلق الخلق بعلمه[٢] وقدر لهم أقداراً[٣] وضرب لهم آجالاً[٤] لم يخف عليه شيء من أفعالهم قبل أن خلقهم[٥] وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم[٦] وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته[٧] وكل شيء يجري

---

(١) هذه الآية من الآيات المحكمة الدالة على تنزيه الله تعالى عز وجل عن مشابهة المخلوقات من كل الوجوه فسبحان من تنزه عن الشبيه والمثال وفي الآية كذلك نفي التعطيل عنه سبحانه وتعالى فسبحان من اتصف بصفات الكمال والجلال.

(٢) يعني أن الله تعالى أوجد المخلوقات بقدرته عند تعلق إرادته بخلقهم وهو عالم بهم أزلاً في سابق علمه قال تعالى ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] وفيه إثبات صفة العلم لله عز وجل وهو صفة أزلية ثابتة لله عز وجل تتعلق بجميع المعلومات قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

(٣) فيه إثبات القدرة لله عز وجل من خير أو شر نفع أو ضر كل ذلك بقدر الله عز وجل ومن عنده قال تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢] وقال ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

(٤) يعني أن الله تعالى ضرب وقدر آجالاً للخلائق مدة أعمارهم في الدنيا لاستيفاء ما لهم من رزق وعمر فلا يأكل أحد رزق غيره ولا يموت أحد إلا بأجله وسببه فالمقتول ميت بأجله لأن الآجال محتومة مكتوبة في علم الله عز وجل فهو سبحانه وتعالى علم وقدر على هذا أنه يموت بسبب المرض وهذا بسبب القتل وهكذا كل واحد قد استوفى أجله قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

(٥) في هذا بيان وتأكيد لسعة علمه فالله سبحانه وتعالى علم بما كان وما يكون وما لم يكن بفرض وقوعه كما قال تعالى ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

(٦) تأكيد لسعة علمه سبحانه وتعالى فسبحانه من إله لا تخف عليه خافيه قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١] والعلم صفة من صفات ربنا الذاتية وهي صفة أزلية ينكشف بها المعلومات عند تعلقها بها فالله تعالى عالم بجميع الموجودات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض والسماوات بل أحاط بكل شيء علما من الجزئيات والكليات والموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فهو بكل شيء عليم من الذوات والصفات.

(٧) الطاعة هي امتثال الأوامر والانقياد لها – والمعصية ضدها وقد ذكر الإمام الطحاوي رحمه الله الأمر =

بقدرته ومشيئته(١) ومشيئته تنفذ(٢) ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لهم لم يكن(٣) يهدي من يشاء ويعصم ويعافي من يشاء فضلاً ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً(٤)

= والنهي بعد ذكره الخلق والقدر إشارة إلى أنه خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فهو سبحانه أمرهم بطاعته ووعدهم عليها بالأجر العظيم تفضلاً منه ورحمة وتوعدهم على انتهاكها بعقوبته عدلاً منه جلّ وعلا.

(١) فيه إثبات القدرة لله تعالى وهي صفة أزلية تتعلق بجميع المقدورات فما من شيء كائن أو سيكون إلا بقدرته ومشيئته سبحانه وتعالى قال الله تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

(٢) أي حسب ما شاء وأراد لا معقب لحكمه ولا مشيئة للعباد إلا حيث وافقت مشيئته تعالى فيما شاءه لهم.

(٣) تأكيد وتذليل لما قبله أي ما تعلقت المشيئة والإرادة الإلهية بوجوده يوجد حتماً لتعلق العلم بوجوده وما لم تتعلق المشيئة بوجوده لا يوجد قطعاً لتعلق العلم بعدم وجوده قال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] وقال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وما أحسن قول بعضهم:

فما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكن

(٤) يعني أن الله تعالى عز وجل هو المتصرف في عباده كيف يشاء فيهدي سبحانه وتعالى من يشاء هدايته بمعنى يخلق الهداية في قلبه والهداية لها معنيان تطلق بمعنى الدلالة إلى المطلوب وهي بهذا المعنى مشتركة بين الخلق والخالق فقد وصف بها الأنبياء وغيرهم وتطلق بمعنى خلق الهداية في العبد وهي بهذا المعنى مختصة بالله عز وجل وهي المرادة هنا قال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وقال عز من قائل ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨] وتظهر آثار هذه الهداية في العبد بنشاطه في العبادة وفعل الخيرات والله سبحانه وتعالى يعصم من يشاء أي يحفظ من يشاء حفظه من المعاصي ويعافي من يشاء عافيته أي يدفع عنه كل ما يخل بدينه أو دنياه يفعل ربنا جميع ذلك لمن شاء من خلقه فضلاً منه ومنة وإحساناً لا وجوباً عليه فما على الإله شيء يجب وإنما فسرنا العصمة هنا بالحفظ لتشمل الواجبة في حق الأنبياء والجائزة في حق غيرهم ممن أراد الله له ذلك من سائر الخلق.

وكما أن الله يهدي من يشاء كذلك يضل من يشاء إضلاله بأن يخلق فيه الضلال فلا يهتدي إلى الخير أبداً قال تعالى ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣] وكذلك يخذل ربنا من يشاء خذلانه بأن يترك نصرته ويقدره على فعل المعاصي والمخالفة حتى يستحق العقاب عاجلاً أو آجلاً ويبتلي كذلك من يشاء ابتلائه عدلاً منه لأنه مالك الملك ومالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء فتصرفاته تعالى بين الفضل =

وهو متعال عن الأضداد والأنداد(١) لا راد لقضائه(٢) ولا معقب لحكمه(٣) ولا غالب لأمره(٤) آمنا بذلك(٥) كله(٦) وأيقنا أن كلاً(٧) من عنده(٨) وإن محمداً ﷺ(٩)

= والعدل وأما الظلم فمستحيل عليه تعالى قال تعالى ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] ولأن الظلم صفة نقص والله منزه عن ذلك.

فائدة: قال العلامة العارف بالله السيد عبدالله الحداد في حكمه الخلق مع الحق لا يخلو أحد منهم أن يكون في إحدى الدائرتين إما في دائرة الرحمة أو في دائرة الحكمة فمن كان اليوم في دائرة الرحمة كان غداً في دائرة الفضل ومن كان اليوم في دائرة الحكمة كان غداً في دائرة العدل ا.هـ قال شارحها وحلّ هذا المقام أن الله تعالى كان موصوفاً في الأزل بأوصاف الرحمة كالوجود والكرم والرأفة واللطف والإحسان وموصوفاً بصفات النقمة كالقهر والإضلال والانتقام فقسم خلقه بإرادته قسمين فمنهم من قسم لهم أن يكونوا مظاهر أوصاف الرحمة في الأغلب وإن كان لا يخلو عن الحكمة والعدل ومنهم من قسم لهم أن يكونوا مظاهر صفات النقمة المشتملة على الحكمة في الأغلب وإن كان لا يخلو عن الرحمة والفضل ثم أخرجهم من العدم إلى فضاء الوجود فسهل لكلٍ ما قسم له ثم إذا أوردهم في مورد القيامة جعل أهل دائرة الرحمة بفضله في آلاء لا تحصى وجعل أهل دائرة الحكمة بعدله في بلايا لا تستقصى فمن وفقه الله للخير فلا يحمدون إلا إياه ومن ابتلى بالضير فلا يلومن إلا نفسه.

(١) متعال- متنزه والأضداد جمع ضد وهو النظير والكفء ومثله الأنداد وهو جمع ند والمعنى أن الله جل جلاله منزه عن المكافئ والنظير والمثال والمعارض قال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] أي ليس كمثله شيء ولا معقب لحكمه بل ما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن.

(٢) أي لا يستطيع أحد رد قضائه المبرم لأن مشيئة الله نافذة.

(٣) ولا معقب لحكمه المحكم أي لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقض يقال عقب الحاكم على حكم من كان قبله إذا حكم بعد حكمه بخلافه أي لا راد لما أبرمه من قضائه ولا ناقض لما حكم به لأنه القاهر فوق عباده.

(٤) وهو العزيز الحكيم.

(٥) القضاء المقدور.

(٦) خيره وشره حلوه ومره.

(٧) كائن.

(٨) بمشيئته وإرادته.

(٩) هذا أفضل أسمائه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة في الأرض والسماء وهو علم منقول من اسم مفعول المضاعف فسمّي بذلك لكثرة خصاله الحميدة وقد سماه به جده عبدالمطلب في سابع يوم من ولادته بإلهام من الله تعالى فقيل له لما سميت ابنك محمداً وليس من أسماء آبائك و أجدادك؟ قال رجوت أن يحمد في السماء والأرض فحقق الله رجاءه على الوجه الذي سبق في علمه ولم يسم به أحد قبله ولكن=

عبده[١] المصطفىٰ[٢] ونبيه[٣] المجتبىٰ[٤] و رسوله المرتضىٰ خاتم الأنبياء[٥] وإمام الأتقياء[٦]..

= لما قرب زمنه ونشر أهل الكتاب نعته سمّىٰ أقوام أولادهم به رجاء النبوة لهم والله أعلم حيث يجعل رسالته وعدتهم خمسة عشر كما نبه عليه بعض المحققين.

(١) قدم لفظ العبودية علىٰ النبوة والرسالة إيذاناً بأن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته وكلما حقق العبد عبوديته ازداد كمالاً ومهما بلغ العبد في الكمال لا يخرج عن العبودية وأيضاً فيه الامتثال لقوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ بن مريم ولكن قولوا عبده ورسوله وإنما أنا عبده ورسوله فقولوا عبدالله ورسوله» أخرجه البخاري وللإشارة إلىٰ أنها من أشرف أسمائه صلىٰ الله عليه وآله وسلم بل هي أحب الأسماء إلىٰ الله وأرفعها ولهذا وصف بها نبيه في أشرف مقامته فقال عز من قال ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] ، وقال تعالىٰ ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] وقال تعالىٰ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] فلو كان له وصف أشرف منه لذكره به في تلك المقامات العلية واحتراساً عن الإفراط بوصفه حيث أنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم مع ما بلغ من الاصطفاء والاجتباء والارتضاء والختم والسيادة مع النبوة والرسالة ما برح عن صفة العبودية وأن صفة الألوهية والربوبية إنما هي لله تعالىٰ لا غير والعبودية لمن دونه ففي الوصف بها إشارة إلىٰ غاية كمال الله تعالىٰ واحتياج غيره إليه في سائر أحواله.

(٢) نعت له أي المختار من الأخيار أخرج ابن ماجة والترمذي عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال «إن الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل واصطفىٰ قريشاً من كنانة واصطفىٰ من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم».

(٣) من النبوة وهي الرفعة أي له عند الله رتبة شريفة ومكانة منيفة أو من النبأ بالهمز وقد تسهل وهو الخبر أي أن الله أطلعه علىٰ غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبياً منبأ أو يكون مخبراً عما بعثه الله تعالىٰ عليه.

(٤) نعت له وهو كالمصطفىٰ وزناً ومعنىٰ.

(٥) أي آخرهم بعثاً كما قال تعالىٰ ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال صلىٰ الله عليه وسلم «وختم بي النبيون» أخرجه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) جمع تقي وهو من اتصف بالتقوىٰ قال البيضاوي والتقوىٰ فرط الصيانة وهي في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة ولها ثلاث مراتب:

١- التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالىٰ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾

٢- التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتىٰ الصغائر وهو المتعارف باسم التقوىٰ في الشرع وهو المعني بقوله تعالىٰ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٣- أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بسرائره وهو التقىٰ الحقيقي المطلوب بقوله تعالىٰ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وسيد[١] المرسلين وحبيب[٢] رب العالمين وكل دعوة نبوة بعد نبوته فغي وهوى[٣] وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى[٤] المبعوث بالحق والهدى[٥] . وأن القرآن كلام الله تعالى بدا[٦] ....

---

(١) من تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم وصفه بالسيادة فنقول عند ذكر اسمه «سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» أو «سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم» ولا عبرة بمن خالف ذلك أخرج البخاري ومسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم «أنا سيد الناس» وقال سهل بن حنيف الصحابي الجليل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم «يا سيدي والرقى صالحة» أخرجه أحمد والحاكم وهو حديث صحيح.

(٢) فعيل بمعنى مفعول أي محبوب لربه رب العالمين جل وعلا.

(٣) قال تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وروى البخاري في صحيحه عن مطعم عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد والماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب» زاد الترمذي والطبراني في الكبير وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقال الترمذي حسن صحيح وعند ابن حبان وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي.

واعلم أنه يجب اعتقاد كفر كل من أدعى النبوة بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٣] ويؤخذ من هذه الآية أيضاً كفر من أدعى أنه يوحى إليه ولو لم يدعي النبوة هكذا صرح به أهل العلم في باب الردة من كتب الفقه والله أعلم.

(٤) قال تعالى ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] فقوله للعالمين يشمل الأنس والجن بلا خلاف وعلى هذا درج المفسرون قاطبة بل جاء في قراءة ابن الزبير تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين للجن والأنس نذيرا وهذه القراءة وإن كانت شاذة فهي تفيد تفسير ابن الزبير الصحابي للعالمين بحسب مدلوله العربي مع تلقيه عن النبي ﷺ.

وقال تعالى ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ - يعني القرآن - ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ الجن الآيات فهي صريحة في أن الجن لما سمعوا القرآن آمنوا به وهذا يفيد القطع بإرساله عليه السلام إليهم ولشيخ مشايخنا الحافظ عبدالله بن الصديق الغماري رسالة ممتعة نافعة في المسئلة سماها قرة العين بأدلة إرسال النبي ﷺ إلى الثقلين.

(٥) المبعوث بالحق من ربه والهدى والرشد بإذنه تعالى.

(٦) أي ويجب اعتقاد أن القرآن كلام الله تعالى بدا بلا همز تعني مطلق الظهور لأمر وظهور أمر يستلزم أنه كان موجوداً ولكنه ظهر للغير بعد أن كان خافياً عليه وأما بدأ الشيء بالهمز فمعناه وجوده بعد كونه غير موجود. وهذا يدل على أن كلام الله تعالى قديم لا بداية له ولكن ظهوره هو المحدث وظهور الشيء غير نفس الشيء فافهم فإنه من دقائق الأمور.

بلا كيفية قولاً[١] وأنزله على نبيه وحياً[٢] وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه[٣] كلام الله تعالى بالحقيقة[٤] ليس بمخلوق ككلام البرية[٥] فمن سمعه[٦] فزعم[٧] أنه كلام البشر فقد كفر[٨] وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه[٩] حيث قال ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[١٠] فلما أوعد الله سقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ علمنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر [١١]و من وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر[١٢]، فمن أبصر هذا

---

(١) قال العلامة الأصفهاني كيف لفظ يُسأل به عما يصح أن يقال فيه شبيه وغير شبيه كالأبيض والأسود والصحيح والسقيم ولهذا لا يصح أن يقال في الله عز وجل كيف ا. هـ

والمقرر عند أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً نفي الكيف عن الله تعالى لأن الكيف هو الهيئة القارة للشيء والمقصود بالهيئة هي الصورة والشكل المعين وهي هنا الصوت والحرف وأن يحتاج الله تعالى للفم واللسان واللهوات وغير ذلك من صفات الحوادث فكل ذلك محال في حقه تعالى ومنفي عنه عز وجل وهو من قبيل تشبيهه تعالى بخلقه والله منزه عن ذلك تعالى علواً كبيرا

وجملة قوله بلا كيفية في محل نصب على الحال من قولاً أي قولاً حالة كونه بلا كيفية أي لا تُعرف كيفية تكلمه به.

(٢) أي ونقول أن الله تعالى أنزل القرآن العظيم على نبيه سيدنا ومولانا محمد ﷺ بطريق الوحي بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

(٣) أي القرآن والمراد به المقروء.

(٤) تأكيد وتمهيد للرد على من يقول أنه مخلوق وهم المعتزلة.

(٥) المعنى أن كلام الله الصفة الأزلية القائمة بذاته تعالى المنافية للسكوت والآفة وليس بحرف ولا صوت ليس بمخلوق ككلام البرية المؤلف من الحروف المشتمل على الأصوات.

(٦) أي القرآن.

(٧) الزعم هو القول بلا دليل يقال زعم مطية الكذب.

(٨) أي وذلك لأنه قد ذمه الله تعالى وعابه والذم ما يقابل المدح والعيب مذموم.

(٩) وما ذلك إلا لأفترائه على ربه بنسبة صفته القديمة إلى خلقه وذلك حيث قال تعالى في شأنه ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

(١٠) اسم من أسماء النار.

(١١) وقول خالق البشر لا يشبه قول البشر تعالى الله عز وجل أن تُماثَل صفاتهُ وتكبر.

(١٢) هذه قاعدة عظيمة من قواعد الدين وأصل كبير من أصول الإيمان قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقال ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله تعالى بصفاته[١] ليس كالبشر[٢].
والرؤية[٣] حق[٤] لأهل الجنة بغير[٥] إحاطة ولا كيفية[٦]..........................

---

(١) كلها.
(٢) تنزه ربنا عن ذلك وعلا علواً كبيرا.
والحاصل أنه قد قامت البراهين القطعية على أن القرآن كلام الله تعالى منه ظهر بلا كيفية قولاً وأنزله على سيدنا ومولانا محمد وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً فمن زعم أن القرآن ليس كلام الله بل هو من كلام النبي ﷺ أو من كلام أحد المخلوقات فقد كفر بالله عز وجل لأن الوليد بن المغيره من كبار كفار قريش حينما قال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ذمه الله وعابه وأوعده سقر قال تعالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ فعلم من هذه الآيات أنه كلام خالق البشر وأن من وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد ضل وكفر لأنه تعالى لا يماثله أحد على الإطلاق فمن أبصر هذا بعين البصيرة وتدبره وعلم ما في الجرأة على الله من الخطر تنبه واعتبر وعن مثل هذا القول الفاسد انزجر.
فائدة: من قال أن القرآن كلام الله ولكنه مخلوق كالمعتزلة فليس بكافر بل من المسلمين أهل البدع الذين يفسقون ببدعتهم وحسابهم على الله تعالى.
(٣) الرؤية إلى الذات المقدسة المنزهة عن الإحاطة والجهة.
(٤) أي ثابتة لأهل الجنة دل على ذلك نصوص من الكتاب والسنة قال تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وفي البخاري عن جرير قال كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] قال العلماء والتشبيه برؤية القمر لتعين الرؤية دون تشبيه المرئي سبحانه وتعالى قال الإمام السمرقندي في الصحائف اتفق أهل السنة على جواز رؤية الله تعالى منزهاً عن المسامتة والمحاذاة والمكان خلافاً لجميع الفرق وهذا البحث مما ليس للعقل استقلال في إثباته وغاية سعينا ليست إلا بيان الجواز وهذا القدر كافٍ هاهنا ا. هـ
(٥) الباء في قوله بغير متعلقة بقوله الرؤية أي أن الرؤية تكون بغير إحاطة ولا كيفية أي يجب نفي الإحاطة والكيفية عن الرؤية لأن الكيف عن الله مرفوع والإحاطة به مستحيلة لتعاليه تعالى عن التناهي والاتصاف بالجوانب والحدود.
(٦) من مقابلة وجهة وارتسام واتصال شعاع وثبوت مسافة بين الرائي والمرئي لأن هذا كله في رؤية الأجسام والله تعالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية الأجسام فإن الرؤية تابعة للشيء على ما هو عليه فمن كان في مكان وجهة لا يرى إلا في مكان وجهة كما هو كذلك ويُرى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة ومن لم يكن في مكان ولا جهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس في مكان ولا جهة ولا بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة وإلا لم تكن رؤية له بل لغيره قاله النابلسي.

كما نطق به[١] كتاب ربنا[٢] حيث قال ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ[٣] * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه[٤] وكل ما جاء في ذلك[٥] من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ وعن أصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فهو كما قال[٦] ومعناه وتفسيره على ما أراد[٧] لا ندخل في ذلك متأولين[٨] بآرائنا[٩] ولا متوهمين[١٠] بأهوائنا[١١] فإنه ما سلم في دينه إلا من سَلَّم لله تعالى ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه[١٢] .

---

(١) أي بحقيقة الرؤية.

(٢) عز وجل للدلالة على حصول الرؤية.

(٣) أي مشرقة بهية مسرورة لكونها إلى ربها ناظرة.

(٤) آيات الأسماء والصفات وأحاديثها أمرها السلف الصالح كما جاءت بلا كيف ولا معنى وفوضوا علم ذلك إلى الله عز وجل.

(٥) أي في إثبات الرؤية للمؤمنين في الجنة.

(٦) قائله.

(٧) أي مراد الله تعالى وهكذا المتشابه وكل وصف اتصفت به الذات العلية مما لا يدرك في العقل ولا يترك للنقل معناه وتفسيره على ما أراد الله تعالى ولا كيف ولا معنى بل ننزه ربنا عما لا يليق بجلاله ونثبت له ما أثبت لنفسه ولا كيف ولا معنى بل هو على مراد الله تعالى.

(٨) هو في الأصل الترجيح وفي الشرع صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله قاله السيد.

(٩) جمع رأي وهو ما أدى إليه فهمه باجتهاده.

(١٠) أي ظانين.

(١١) جمع هوى بالقصر وهو ما تهواه النفس.

(١٢) لمّا أثبت الإمام الطحاوي رحمه الله أصل الرؤية بلا كيف ولا تشبيه صرح بأنه لا يجوز لواحد أن يتوهم أنه يرى ربه كما يرى بقية الأشياء فلا يجوز توهم الرؤية على نمط معين بأن يقال مثلاً إنها تكون مع كون الله تعالى مقابلاً لنا تعالى الله عن ذلك.

فائدة: يتلخص من هذا أن مذهب أهل السنة والجماعة من سلفنا الصالح لزوم التسليم في المتشابه مع تنزيه الله عز وجل عما لا يليق بجلاله فلا كيف ولا معنى فواجبنا الإقتداء بهم في ذلك فنعمل بمحكم الكتاب والسنة ونؤمن بالمتشابه منهما بلا كيف ولا معنى وننزه ربنا عما لا يليق بجلاله ونفوض علم ذلك إلى الله عز وجل ولا نتأول شيئاً منه برأينا ولا نتوهم شيئاً بهوى أنفسنا لأن التسليم أسلم في الدين ومعتنقه يلقى الله غداً بقلب سليم.

ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم[١] والاستسلام[٢] فمن رام[٣] علم ما حُظر[٤] عليه[٥] ولم يقنع بالتسليم[٦] فهمه حجبه مرامه[٧] عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان[٨] فيتذبذب[٩] بين الكفر والإيمان والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تائهاً زائغاً شاكاً لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً.

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم[١٠] أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم

---

(١) يعني أن الإسلام لا يثبت ولا يستقر في قلب صاحبه إلا مع التسليم التام لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ بدون معارضة برأي ولا وسوسة فكر بل ما جاءنا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ محكماً أخذنا به وما كان متشابهاً فوضنا علمه إلى الله عز وجل إذ الخوض في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بدون علم منهي عنه شرعاً ومهلكة عظيمة قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .....﴾ [هود: ١٨] وقال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

(٢) أي الأنقياد التام.

(٣) طلب.

(٤) منع.

(٥) علمه.

(٦) مع التفويض والتنزيه لله تعالى.

(٧) منعه مطلبه.

(٨) المعنى من طلب علم ما منع منه ولم يقنع بالتسليم والانقياد لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ومنه التفويض والتنزيه لله تعالى فيما خفي منه المراد فقد أخطأ الصواب وحجب عن التوحيد الخالص والمعرفة الصافية والإيمان الصحيح وفي الحديث الصحيح من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التسليم وهذا الكلام من المصنف كالتقرير للكلام الأول من لزوم التسليم مع ترك التأويل وفيه زيادة تحذير لمن يتكلم في أصول الدين بغير علم.

(٩) أي يتردد ويضطرب بين ذلك فيكون لا مصدقاً ولا مكذباً ولا مقراً ولا منكراً وتستولي عليه الوسوسة والأوهام فيتيه عن المرام ويقع في الزيغ والشك لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً.

(١٠) بعد أن ذم المصنف التأويل ذكر له مثالاً وهو الرؤية لله عز وجل فمن تأولها بفهم أو اعتبرها بوهم كمن ادعى أن الرؤية لله تعالى تكون عن طريق حصول صورته فينا بهيئة وكيفية معينة فإن هذه الرؤية ليست الرؤية التي يصح إثباتها لله تعالى فالله تعالى منزه عن الكيف والصورة.

التسليم وعليه دين المرسلين وشرائع النبيين[١] . ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس بمعناه أحد من البرية[٢] تعالى الله[٣] عن الحدود[٤] والغايات[٥] والأركان[٦]

---

(١) أشار المصنف إلى طريقة أهل السنة والجماعة فيما اشتبه علينا ولم ندرك حقيقة معناه فواجبنا في ذلك الإيمان به والتسليم وتفويض حقيقة معناه إلى الله عز وجل كما هو طريق السلف الصالح لا كيف ولا معنى آمنا به على مراد الله وننزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكبريائه إذ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

(٢) يعني أن الذي لم يتحفظ ويحترز ويجعل لنفسه وقاية عن النفي لصفات الله تعالى التي وصف بها نفسه كالمعطلة ولم يحترز احترازاً كاملاً عن التشبيه لله عز وجل بمخلوقاته كالمجسمة فقد زل وسقط على أم رأسه وضل عما يبتغيه من التنزيه لله عز وجل فإن ما فر منه بزعمه وقع فيه فإن ربنا عظم شأنه وتنزه عما لا يليق به عز وجل موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية لا يشبهه ولا يماثله أحد من الخلق قال تعالى ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ * وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

(٣) تنزه سبحانه وتعالى.

(٤) جمع حد وحد الشيء هو طرفه ونهايته قال في القاموس الحد الحاجز بين شيئين ومنتهى الشيء — ومن كل شيء حِدّته ومنك بأسك ومن الشراب سورته والدفع والمنع كالحَدَدِ وتأديب المذنب بما يمنعه وغيره عن الذنب وما يعتري الإنسان من الغضب والنَّزَق كالحِدةِ وقد حددتُ عليه أحِدّ وتمييز الشيء عن الشيء وداري حديدة داره ومحادَّتُها حدُّها كحدِّها ا.هـ.

والحاصل أن حدّ الشيء هو طرفه وغايته ونهايته التي تميزه عن غيره وهذا كما هو معلوم لا يستلزم أن كل ما هو متميز عن غيره فيجب أن يكون له طرف ونهاية وغاية وحد بل كل ما هو محدود فهو متميز عن غيره ولا يقال أن كل ما هو متميز عن غيره فهو محدود فافهم هذا فإن المجسمة عندما لم يتنبهوا له وقعوا في التشبيه فالطحاوي رحمه الله نفى الحدود عن الله تعالى ولم ينفي التمايز فالله عز وجل تميز عن خلقه ليس كمثله شيء ولكن تميزه تعالى عن خلقه لا يكون بالحدود ولا بالنهاية ولا بالغاية إذ هذه مميزات المخلوقين بعضهم عن بعض فكل ما كان من قبيل الحدود فإنه منفي عنه عز وجل وهذا يعم الحد المكاني والزماني فالله تعالى موجود بلا مكان ولا يحده تعالى الزمان ويعم الحد المعنوي أيضاً بمعنى أن قدرته تعالى ليست محدودة بل هي متعلقة بجميع الممكنات وعلمه تعالى متعلق بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات سبحانه وتعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

(٥) جمع غاية وغاية الشيء منتهاه قال في القاموس الغاية المدى ا.هـ والله منزه عن الغايات.

(٦) جمع ركن والركن بالضم لغة الجانب الأقوى قال في المصباح المنير ركن الشيء جانبه والجمع أركان مثل =

والأدوات[1] لا تحويه الجهات[2] الست[3] كسائر المبتدعات[4] والمعراج حق[5] وقد أسري بالنبي ﷺ[6] وعرج بشخصه في اليقظة[7] إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العلا[8] وأكرمه الله تعالى بما شاء ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[9] والحوض الذي أكرمه الله

= قفل و أقفال فأركان الشيء جزء ماهيته والشروط ما توقف صحة الأركان عليه ا.هـ قال شيخنا أحمد جابر رحمه الله الركن اصطلاحاً (ما يقوم به ذلك الشيء) ا.هـ والله منزه عن ذلك لأن معناه الجزء للذات والتبعيض عليها وهذا محال في حق الله.

(١) جمع أداة وهي الآلة كالجوارح والله منزه عن ذلك تعالى الله علواً كبيراً.

(٢) الجهات جمع جهة قال ابن فارس في معجم المقاييس الواو والجيم والهاء أصل واحد يدل على مقابلة لشيء والوجه مُستقبل كل شيء يقال وجه الرجل وغيره وربما عبر عن الذات بالوجه... وواجهت فلاناً جعلت وجهي تلقاء وجهه... والوِجهة كل موضع استقبلته ا.هـ

وقال الفيروز أبادي في القاموس الوجّهُ بالكسر والضم الناحية كالوجه والوجِهة بالكسر جمع جهات ا.هـ

(٣) صفة للجهات وذلك لأن الجهات والنواحي التي يتوجه إليها الإنسان في حركته هي ست تابعة لحركته وهذه الجهات هي الأمام والخلف والفوق والتحت واليمين والشمال فالله عز وجل لا يقال عنه سبحانه أنه في جهة من الجهات الست.

(٤) يعني أن كل شيء من المخلوقات فهو في جهة وله جهة وأما الله تعالى فإنه لما تنزهت ذاته وجلت صفاته عن جميع أوصاف المحدثات إذ ليس كمثله شيء لم تحوه الأمكنة ولا الجهات ولم تحط به الحدود ولا الغايات ولم يحتج إلى الأركان والجوارح سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً فالله جل شأنه موجود بلا مكان ولا زمان ولا جهة ولا ناحية جل في علاه.

(٥) ثابت لرسول الله ﷺ كما في الأحاديث الصحيحة ودلت عليه سورة النجم.

(٦) الإسراء من المسجد الحرام إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب وصحيح الأخبار قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ.....﴾ [الإسراء: ١] والمعراج من الأرض إلى السماء مشهور يخشى على منكره الكفر والإسراء هو المسير ليلاً وقد أسرى الله تعالى بسيدنا محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عرج به وصعد به من هناك إلى السماوات العلا وإلى حيث شاء.

(٧) في ذلك رد لقول من زعم أن ذلك كان بالروح وفي المنام وهو قول ضعيف فالإسراء والمعراج كان بجسده الشريف ﷺ يقظة لا مناماً.

(٨) النجم(١٠) وفيه من تفخيم الموحى إليه والموحى به ما لا يخفى.

(٩) إشارة إلى اختلاف أقوال السلف فقيل إلى الجنة وقيل إلى العرش وقيل إلى ما فوق العرش وقيل إلى أطراف العالم وحاصله كما قال السعد في شرح العقائد الإسراء من المسجد الحرام إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب ومنه إلى السماء مشهور ومنها إلى الجنة والعرش أو غير ذلك آحاد.

تعالى به غياثاً لأمته حق[١] والشفاعة[٢] التي ادخرها الله لهم كما روي في الأخبار حق[٣]

---

(١) الحوض لغة مجمع الماء والغياث ما تنكشف به الشدة والمعنى أن الحوض لرسول الله ﷺ الذي أكرمه الله تعالى به يوم القيامة غياثاً لأمته يرده الأخيار ويذاد عنه الأشرار حق ثابت بصحيح الأخبار التي يبلغ مجموعها التواتر المعنوي ففي صحيح البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا».

وروى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي.

وفي البخاري عن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال «إني فرطكم وأنا شهيد عليكم إني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت خزائن ومفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف بعدي أن تشركوا ولكن أخاف أن تنافسوا فيها»

(٢) الشفاعة لغة الوسيلة واصطلاحاً العفو عن العقاب بواسطة الشافع نص الإمام التفتازاني في شرح النسفيه أن أصل العفو والشفاعة ثابت بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع والشفاعة مراتب أعلاها الشفاعة العظمى في فصل القضاء يوم القيامة وهي مختصة بنبينا محمد ﷺ بالإجماع وهي المقام المحمود في قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] أي يحمده فيه الأولون والآخرون وإنما أمرنا أن ندعو له عقيب الأذان بذلك مع أنه واجب الوقوع إظهاراً لشرفه ﷺ وذلك حين يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد وتدنو منهم الشمس قدر ميل ويبلغ الناس من الكرب والعرق ما لا يطيقون حين تضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد حين يعاينون من شدائد الموقف وأهواله ما يذهب الأكباد وينسي الأولاد وحين يتردد وجهاء العالم إلى الأنبياء من آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام يسألونهم الشفاعة في إراحتهم من ذلك الموقف وكل نبي يقول نفسي نفسي ويردد سلم سلم اذهبوا إلى غيري فإذا انتهوا إليه ﷺ قال أنا لها أنا لها أمتي أمتي فيشفعه الله في كافة الخلق ويريحهم من هول ذلك الموقف العظيم.

(٣) روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة.

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال كل نبي سأل سؤالاً أو قال لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

وعند ابن حبان بإسناد صحيح من حديث طويل وفيه قال رسول الله ﷺ إنه أتاني من ربي آت فخيرني بأن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة وإني اخترت الشفاعة...... إلى أن قال فإني أشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتي. والأحاديث في الباب كثيرة جداً.

والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام وذريته حق[١] وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ويدخل النار جملة واحدة ولا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أنهم يفعلونه وكل ميسر لما خلق له والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله تعالى[٢] .

---

(١) ثابت بالكتاب كما قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم بين سبحانه وتعالى حكمة الأشهاد بقوله ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ أي لئلا يقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال العلامة مصطفى المنصوري في المقتطف من عيون التفاسير ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ احتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام وتوبيخهم بنقضه أي واذكر للخلق حين أخذ ربك ﴿مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ المراد بهم أولاد آدم جميعاً ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ تنبيه على أن الميثاق قد أخذ منهم وهم في أصلاب الأباء ولم يستودعوا بعد في أرحام الأمهات والتقدير وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المراد أولادهم على العموم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي أشهد كل واحد من أولئك الذرية أن الله ربُّه بما ركب في عقولهم من الإقرار بربوبية الله جل وعلا وصاروا بمنزلة من قيل لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي خالقكم ومالك أمركم ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ على أنفسنا بأنك ربنا لا رب لنا غيرك والمراد أقررنا بذلك والكلام عند بعض المفسرين أنه تمثيل لخلقه تعالى الخلق على مبدأ الفطرة مستعدين للإستدلال بالأدلة الكونية إلى التوحيد كما نطق به قوله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة... الحديث» وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقال لهم ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك من غير أن يكون هناك أخذ وإشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] إلى هذا ذهب بعض أهل التفسير منهم الزجاج والزمخشري وأبو حيان وأبو السعود وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق وجعل لهم عقلاً وفهماً تعقل به كما قال في النملة ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] وقوله تعالى ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ أي لئلا تقولوا يوم البعث والحساب عند ظهور الأمر وإحاطة العذاب بمن أشرك ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ عن وحدانيته تعالى وأحكامها ﴿غَٰفِلِينَ﴾ لم نتنبه عليه فلا سبيل إلى الاعتذار بذلك إذ لا سبيل لأحد إلى إنكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة ا.هـ

(٢) ونقول قد علم الله تعالى في علمه الأزلي الذي لم يزل عليه عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يمكن أن يزاد في العدد المعلوم له ولا ينقص منه وكذلك علم منهم ما سيفعلونه من خير وشر أو نفع أو ضر قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] وكل منهم ميسر لما خلق له فأهل السعادة ميسرون لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة ميسرون لعمل أهل الشقاوة والأعمال بالخواتيم والخواتيم مبنية على سابقة القضاء روى البخاري عن عمران قال: «قال رجل يا رسول الله =

وأصل القدر[١] سر الله[٢] في خلقه لم يطلع على ذلك[٣] ملك مقرب ولا نبي مرسل[٤] والتعمق[٥] والنظر[٦] في ذلك ذريعة[٧] الخذلان[٨] وسلم الحرمان[٩] ودرجة الطغيان[١٠] فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً أو فكراً أو وسوسة[١١] فإن الله تعالى طوى

= أيعرف أهل الجنة من أهل النار قال نعم قال فلم يعمل العاملون قال كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له» وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم وفي البخاري عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال «إن الله عز وجل وكّل بالرحم ملكاً يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فإذا أراد أن يقضي خلقه قال أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق والأجل فيكتب في بطن أمه»

وقول الطحاوي والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله تعالى كالتتميم والتذييل لما قبله وهو ظاهر معلوم وفيه إشارة إلى قول الله تعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩].

(١) القدر بتحريك الدال وتسكينها مصدر قدرت الشيء بفتح الدال وتخفيفها إذا أحطت بمقداره أي حقيقته قال الإمام النووي رحمه الله اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات القدر وهو أنه سبحانه وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدّرها في سابق علمه وإنها مستأنفة العلم أي يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها تعالى ربنا عن أقوالهم الباطلة علواً كبيرا وسميت هذه الفرقة القدرية لإنكارهم القدر وقد انقرضت هذه الفرقة وصارت القدرية في هذا الزمان تعتقد أن الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن ذلك ا.هـ

(٢) أي علمه المختص به تعالى.

(٣) أي على ذلك السر الذي أسره سبحانه وتعالى.

(٤) فيه إظهار عجز من اتصف بالعبودية عن إدراك علم ما اختصت به الذات العلية.

(٥) أي زيادة الخوض والبحث عن ذلك السر.

(٦) أي التفكر.

(٧) وسيلة.

(٨) ترك العون.

(٩) ضد العطاء.

(١٠) مجاوزة الحد والمعنى لا ينبغي الخوض والتعمق والتفكر في إدراك ما لم يدركه الملائكة والمرسلون فالخائض في ذلك متعاط لأسباب الخذلان محروم من كمال الإيمان سالك مسلك أهل الزيغ والطغيان نسأل الله السلامة من ذلك.

(١١) المراد بالوسوسة هنا المؤدية إلى الشكوك والشبه المثيرة للجدل والخوض في القدر وغيره من الأسرار التي انطوى علمها عنا وإلا فأصل الوسوسة وحديث النفس مرفوعان عن العبد وعليه مدافعتها ما أمكن.

علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه[١] كما قال في كتابه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٢] فمن سأل لم فعل فقد رد حكم كتاب الله عز وجل ومن رد حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين فهذا[٣] جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى وهي درجة الراسخين في العلم لأن العلم علمان علم في الخلق موجود وعلم في الخلق مفقود فإنكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر ولا يصح الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود[٤] .

ونؤمن باللوح[٥] والقلم[٦] بجميع ما فيه قد رقم فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء

---

(١) طلبه.

(٢) الأنبياء:٢٣

(٣) الإشارة راجعة إلى ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده والعمل به.

(٤) يعني أن جملة ما تقدم ذكره هو جملة ما يحتاج إليه من نور الله قلبه وبصيرته وهذه الدرجة في الاعتقاد هي درجة السلف الصالح الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله ﴿وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فعليك بالعلم المطلوب منك علمه من كل علم موجود في الخلق ومندوب إليه وإياك من طلب العلم المفقود من الخلق المختص به تعالى فإنكار الأول كفر وادعاء الثاني كفر نسأل الله السلامة من ذلك ولا يصح الإيمان ويستقر في قلب صاحبه إلا إذا قبل العلم الموجود وعمل بمقتضاه وترك طلب العلم المفقود وفوض علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

(٥) أي ومما يجب علينا الإيمان به الإيمان باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب المذكور في قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] وقال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

وعن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ قال «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء» أخرجه البخاري وفي رواية صحيحة عند أحمد «وكتب في اللوح ذِكرَ كل شيء» وهي مفسرة للأولى.

(٦) أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال له «جف القلم بما أنت لاق» قال الحافظ في شرحه أي نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ فبقي القلم الذي كتب به جافاً لا مداد فيه لفراغ ما كتب به قال عياض كتابة الله ولوحه وقلمه من غيب علمه الذي نؤمن به ونكل علمه إليه ا.هـ

وفي البخاري في حديث المعراج قوله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام.

=

كتبه الله فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه[١] وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل شيء كائن من خلقه وقدر ذلك بمشيئته تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محوِّل ولا زائد ولا ناقص من خلقه في سماواته وأرضه وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف[٢] بتوحيد الله وربوبيته كما قال تعالى في كتابه العزيز ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] فويل لمن صار له الله في القدر خصيما وأحضر للنظر فيه قلباً سقيما لقد التمس بوهمه في محض الغيب سراً كتيما وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيما[٣] .

= وهذا فيه إثبات أقلام عديدة لا قلم واحد والله أعلم وأخرج البيهقي بإسناد صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله القلم.

(١) في الأربعين النووية عن أبي العباس عبدالله بن العباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي ﷺ فقال يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٢) فالاعتراف بجميع ذلك اعتراف بتوحيد الله وربوبيته قال بعضهم الاعتراف بتوحيد الله بأن تعتقد بأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله أي لا يشبهه أحد في جميع ذلك وبأنه هو الموجد للكائنات بأسرها من غير تأثير لدهر ولا نوء ولا لغيرهما من الأسباب العادية فإنها غير مؤثرة بطبعها وإنما المؤثر هو الله تعالى فمن اعتقد في شيء أنه يؤثر بطبعه فهو كافر ومن اعتقد أنه يؤثر بقوة أودعها الله فيه فهو فاسق، ومعنى الاعتراف بالربوبية بأن تعتقد أن الكون كله ملك لله تعالى يتصرف فيه كيف يشاء على حسب ما سبق علمه عدلاً وتفضلاً وكل ذلك لا يتم إلا بالإيمان بالقدر ولهذا أثبت المصنف أدلته من الكتاب العزيز.

(٣) إذا عرفت أن الله تعالى أثبت القدر لنفسه وأخبر به عباده في مواطن كثيرة من القرآن الكريم فالمنكر لذلك خصمه الله تعالى والويل كل الويل لمن كان الله له خصيما وذلك بسبب ما جناه على نفسه بواسطة نظره القاصر وقلبه السقيم وبسبب ما يطلبه بتخيلاته الوهمية من الخوض في القدر الذي هو محض الغيب المختص بالله والسر المكتوم الذي لم يطلع عليه أحد من مخلوقات الله فجوزي بإفكه الأثيم العذاب الأليم والخزي العظيم نسأل الله السلامة من ذلك.

فائدة جليلة: قال شيخنا أحمد جابر رحمه الله واعلم أن القلب له حياة وموت ومرض وشفاء فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها وأبغضها ولم يلتفت إليها بخلاف القلب الميت =

والعرش[١] والكرسي[٢] حق وهو عز وجل مستغن عن العرش وما دونه[٣] محيط بكل شيء وبما فوقه[٤] وقد أعجز عن الإحاطة خلقه[٥] ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسىٰ تكليماً إيماناً وتصديقاً وتسليماً[٦] .

= أو السقيم فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح وهناك أربعة أشياء غذاء نافع ودواء شاف وغذاء ضار ودواء مهلك فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي والقلب المريض يؤثر الضار المهلك وأنفع الأغذية غذاء الإيمان وأنفع الأدوية دواء القرآن فعلامة حياة القلب وصحته قبوله لكل خير حتىٰ يمتلئ بالأذكار والخيرات وعلامة القلب الميت عدم قبوله لذلك فيكون كالكوز المجخي لا يستقر فيه شيء من الخير نسأل الله تعالىٰ أن يحي قلوبنا ويعمرها بذكره ا.هـ

(١) ونقول أن العرش حق وهو من أعظم مخلوقات الله حجماً ونصوص الكتاب والسنة واردة بذكر العرش وإثباته فالإيمان بوجوده واجب ولا ندري كنهه بالتحديد ونفوض حقيقته وقدره لله عز وجل قال تعالىٰ ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] وقال تعالىٰ ﴿وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

(٢) ونقول الكرسي حق فيجب علينا الإيمان به وهو غير العرش علىٰ الصحيح قال تعالىٰ ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ولا قطع لنا بحقيقته فنمسك عنها لعدم العلم بها.

(٣) قال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] وقال تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] فيجب علينا أن نؤمن بأنه تعالىٰ غني عن كل شيء فهو سبحانه لم يخلق العرش ولا غيره لحاجته إليه بل لحكمة اقتضاها علمه سبحانه وتعالىٰ ويجب علينا أن نعتقد أن العرش ليس بموضع استقرار الله تبارك الله وتنزه عن مشابهة خلقه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ وأما قوله تعالىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فالسلف علىٰ إمرار هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل مع تنزيه الله سبحانه وتعالىٰ عما لا يليق بجلاله فلا كيف ولا معنىٰ قال عبدالله بن وهب (كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوىٰ؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن علىٰ العرش استوىٰ كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة فأخرجوه فأُخرج).

(٤) قال تعالىٰ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤] وقال تعالىٰ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦] والمراد إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته قال الإمام الأعظم أبو حنيفة ﷺ وهو أي الله الحافظ للعرش وغير العرش محيط علمه بكل شيء حواه أي العرش وبما فوقه وبما تحته وما والاه.

تنبيه: جاء في بعض طبعات الطحاوية وفوقه بحذف (بما) وهو تحريف والصواب إثبات (بما) كما نبه عليه أهل التحقيق منهم العلامة وهبي الألباني في كتابه القيم نظرة علمية في نسبة كتاب الأبانه جميعه للأشعري ص٨٠.

(٥) قال تعالىٰ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠] بل هو سبحانه محيط بكل شيء والخلق عاجزون عن الإحاطة بكنهه فسبحان من لا يبلغ الواصفون وصفه ولا يقدر أحد قدره.

(٦) بهذا جاء القرآن قال تعالىٰ ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النسـاء: ١٢٥] وقال تعالىٰ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ =

ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام معترفين وله بكل ما قال وأخبر مصدقين غير مكذبين[1] ولا نخوض في الله[2] ولا نماري في دين الله تعالى[3] ولا نجادل في القرآن ونعلم أنه كلام رب العالمين[4] نزل به الروح

= تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] ونحن نؤمن بما جاء به كما جاء من عند الله على مراد الله عز وجل وكما يليق بجلاله ونتزه الله تعالى عن مشابهة الحوادث إذ الخلة والمحبة في حق المخلوقين انعطاف وميل في القلب والله تعالى منزه عن ذلك فصفاته سبحانه لا تشبه صفات المخلوقين كما هو معلوم فنحن نؤمن أنه موصوف بما وصف به نفسه على المعنى الذي أراده إيماناً ثابتاً ونصدق به تصديقاً لازماً ونسلم به تسليماً خالصاً لا يشوبه تعطيل ولا تشبيه وإنما خص إبراهيم عليه السلام بالخلة لأن أسرارها ظهرت على يده ومن ذلك تحطيم الأوثان والإقدام على ذبح ولده إيثاراً لمحبة خليله جل وعلا وغير ذلك وإنما خص موسى عليه السلام باسم الكليم لأنه وقع له بغير واسطة الكتاب والملك ولا يلزم من ذلك تفضيلهما على نبينا وسيدنا ومولانا محمد ﷺ لأنه صلى الله عليه وسلم جمع الله له بين الخلة والمحبة والتكليم والرؤية وحاز ما لم يحز أحد من الأنبياء فهو أفضل الخلق على الإطلاق وسيد المرسلين بلا شقاق صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين.

(١) هذا مذهب أهل السنة والجماعة الذين لا يكفرون أحداً من المسلمين بارتكاب الكبائر فكل من شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم مؤمن له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وإن ارتكب الكبائر وكان من الفاسقين وذلك إذا كان مدة دوامه معترفاً بما جاء به النبي ﷺ مصدقاً بما قاله وأخبر به غير مكذب في شيء من ذلك ففي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته.

(٢) ويجب علينا أن لا نخوض في ذات الله تعالى بل نكف عن ذلك ولا نتكلم في ذاته تعالى بغير علم لأننا عاجزون عن إدراك ذلك والخوض في ذات الله مهلكة ومزلة عظمى قال الصديق الأكبر سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن ذات الله إشراك وقال الإمام الأعظم سيدنا أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه.

(٣) ويجب علينا أن لا نماري في دين الله أي لا نجادل أهل الحق في دين الله بإلقاء الشبهات والتوهمات وتلبيس الحق بالباطل المؤدي إلى إفساد دين الله وترك العقيدة الصحيحة لأن ذلك من القبائح الموبقة المؤدية إلى الفسوق والكفر والعياذ بالله واعلم أن أصل المراء مذموم ولو بحق فإذا كان بالباطل فهو أقبح وأشنع نسأل الله السلامة.

(٤) يعني أنه لا يجوز لأحد أن يجادل أحداً في كتاب الله عز وجل إذ المجادلة طريقة الكافرين لأنها قد تؤدي إلى إنكاره والتشكك فيه بل يجب علينا أن نعتقد ونعلم أنه كلام رب العالمين قال تعالى ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

الأمين[١] فعَلَّمَه[٢] سيد المرسلين محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين[٣] . ولا نقول بخلق القرآن ولا نخالف جماعة المسلمين[٤] ولا نقول لا يضر مع الإسلام ذنب لمن عمله[٥] ونرجو للمحسنين من المؤمنين ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم[٦] ....

---

(١) المراد به جبريل عليه السلام قال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣] وسمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب وأميناً لأنه أداه كما أمر.

(٢) فيه التصريح بأن النبي ﷺ تلقى القرآن بالوحي بواسطة جبريل عليه السلام وفي ذلك إشارة إلى عظيم فضل أخذ القرآن بالتلقي عن العلماء الربانيين الحفاظ المقرئين.

(٣) لا شك في ذلك فصفات الله لا تشبه صفات المخلوقين ومن شبه صفات الله بصفات المخلوقين كان من الكافرين.

(٤) ولا نقول بخلق القرآن لأنه كلام الله وصفة من صفاته وكلامه قديم كسائر صفاته والقول بخلقه يفيد أنه محدث فمعتقد ذلك فاسق خارج عن جماعة المسلمين كما صرح به في قوله ولا نخالف جماعة المسلمين وجماعة المسلمين هم السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة فإن سلف الأمة كلهم متفقون على أن القرآن كلام الله تعالى القديم وأنه غير مخلوق والله تعالى قد عصمهم عن الاتفاق على الضلالة فمن خالفهم كان ضالاً قال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

(٥) في هذا رد لقول المرجئة فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة ومذهب أهل السنة والجماعة أن المؤمن المذنب لا يكفر بالذنب ما لم يستحله وأمره مفوض إلى ربه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(٦) بين المصنف طريقة أهل السنة والجماعة في المحسن والمسيء فقال ونرجوا أي نؤمل من فضل الله إنجاز ما وعده للمحسنين في عبادتهم من المؤمنين بنعيم الآخرة ولكن لا نأمن عليهم من مكر الله فإنه كما قال تعالى ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقوله ولا نشهد لهم بالجنة أي بما هم مقدمون من الأعمال لأن المدار على الخواتيم ولأن دخول الجنة إنما هو بمحض فضل الله ولكنهم موعودون بها إن قبلت أعمالهم واعلم أن للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال أحدها أن لا يُشهد لأحد إلا للأنبياء وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والاوزاعي وهذا أمر قطعي لا نزاع فيه والثاني أن يشهد لكل مؤمن جاء نص في حقه وهو قول كثير من العلماء وعليه المصنف كما سيأتي والثالث أنه يشهد لمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين «أنه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير فقال عليه الصلاة والسلام وجبت ومر بأخرى فأثني عليها بشر فقال وجبت فقال عمر يا رسول الله ما وجبت فقال هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار وأنتم شهداء الله تعالى في الأرض» وقوله =

والأمن والإياس ينقلان عن الملة، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة[١] ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه[٢] .

والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان[٣] وأن جميع ما أنزل الله في

= ونستغفر لمسيئهم أي نطلب له المغفرة من الله عز وجل لأنه غفور لعباده رحيم بهم يوفقهم للتوبة لأنها سبب المغفرة وعلى الاستغفار لأنفسهم لأنه يمحق الذنوب ويصفي القلوب ونخاف عليهم أي من العذاب بسبب إساءتهم ولا نقنطهم أي لا نيأسهم من رحمة الله لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال تعالى ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) اعلم يرحمك الله أنه يجب عليك أيها المسلم أن تكون بين الخوف والرجاء بأن تكون خائفاً من عذاب الله تعالى راجياً لثوابه ولا يجوز لك أيها المسلم أن تأمن مكر الله ولا أن تيأس من رحمة الله لأن كلاً منهما يخرج صاحبه عن ديوان المسلمين ويسجله في ديوان الكافرين والخوف المحمود هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله فإذا تجاوز ذلك خيف من اليأس والرجاء المحمود هو رجاء الثواب من الله لمن عمل صالحاً ورجاء المغفرة للمذنب التائب إلى الله عز وجل أما رجاء المغفرة مع التمادي في الذنب والإصرار عليه فغرور وتمني وهو رجاء كاذب وقد قرن الله الخوف بالرجاء في مواطن كثيرة من القرآن من ذلك قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] فكن بين الخوف والرجاء تسلم وينبغي للمريض أن يرجح الرجاء حسن ظن بربه لقوله صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه» مسلم

(٢) يعني أن العبد المؤمن لا يخرج من عصمة الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه أي في الإيمان وهو الإقرار بالتوحيد والإذعان به أو بجحود ما علم بالضرورة أنه من الدين كالصلاة والزكاة ونحوهما واعلم أن أهل السنة لا يكفرون أحداً بذنب إلا إذا استحله. والله أعلم

(٣) (والإيمان هو) أي حقيقته الإقرار بالوحدانية وحقية الرسالة (باللسان والتصديق بالجنان) أي قبول القلب وإذعانه لما علم بالضرورة أنه من دين النبي ﷺ بحيث تعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال كالوحدانية والنبوة والبعث والجزاء ووجوب الصلاة والزكاة وحرمة الخمر ونحوها ويكفي الإجمال فيما يلاحظ إجمالاً كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلاً كجبريل وميكائيل وموسى وعيسى والتوراة والإنجيل حتى إنَّ من لم يصدق بواحد معين منها كافر واعلم أن كلاً منها ركن إلا أن التصديق ركن لا يحتمل السقوط أصلاً والإقرار قد يحتمله كما في حالة الإكراه والعجز ا.هـ ميداني

القرآن(١) وجميع ما صح عن النبي ﷺ من الشرع والبيان كله حق والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالتقوى ومخالفة الهوى(٢) والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن وأكرمهم أطوعهم وأتبعهم للقرآن(٣) والإيمان(٤) هو الإيمان(٥) بالله(٦)

---

(١) من الإخبار عما سلف ويكون في الأزمان وأحوال الآخرة من الصراط والميزان والجنان والنيران وكذلك جميع ما صح عن النبي ﷺ من الشرع والبيان كله حق وصدق بإذعان وإيقان.

(٢) أي ونقول والإيمان في حد ذاته لجميع الأنام واحد وأهله من الأنبياء والملائكة والأولياء وسائر المؤمنين من الأبرار والفجار في أصله الذي هو التصديق البالغ حد الجزم والإذعان الذي لا يقبل التشكيك مع الإقرار باللسان كما ذكره المصنف كل من ذكر فيه سواء أي لا تفاضل فيه من حيث ذاته ولا يزيد ولا ينقص وإنما التفاضل بينهم والزيادة والنقصان بالتقوى التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ومخالفة الهوى الذي يفضي بصاحبه إلى التهلكة فكلما كان الإنسان اتقى لله غير تابع لهواه كان أقرب إلى الله وأفضل وأكرم من غيره وهذا مذهب إمامنا الأعظم وأصحابه الكرام واختاره كثير من الشافعية منهم إمام الحرمين وذهب بعضهم إلى زيادته ونقصانه. والحنفية ومن معهم لا يمنعون الزيادة والنقصان بالنسبة لغير نفس ذات الإيمان ويقولون يزيد وينقص بإعتبار صفاته لا في حد ذاته.

(٣) أي ونقول المؤمنون المتقون كلهم أولياء الرحمن جل وعلا قال تعالى ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] فالولي هو العارف بالله تعالى المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات.

وقوله وأكرمهم عند الله أطوعهم أي وأكثرهم إكراماً على الله أكثرهم طاعة قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقوله وأتبعهم للقرآن أي وأكرمهم وأتبعهم للقرآن قال تعالى ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] فكل من وقف عند كتاب الله وتخلق بأخلاقه فهو ولي الله عز وجل.

(٤) المطلوب من المكلف.

(٥) أي الإقرار مع التصديق والإذعان.

(٦) الإيمان بالله أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله عظيم ملك كبير لا رب سواه ولا معبود إلا إياه قديم أزلي دائم أبدي لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد لا شبيه له ولا نظير و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وأنه تعالى مقدس عن الزمان والمكان وعن مشابهة الأكوان ولا تحيط به الجهات ولا تعتريه الحادثات مستو على عرشه على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء يليق بعز جلاله وعلو مجده وكبريائه وأنه تعالى قريب من كل موجود وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد وعلى كل شيء رقيب وشهيد حي قيوم لا تأخذه سنة =

وملائكته(١) وكتبه(٢) ورسله(٣) واليوم الآخر(٤) والبعث بعد الموت(٥) والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالىٰ(٦) ونحن مؤمنون بذلك كله ولا نفرق بين أحد من رسله

= ولا نوم بديع السماوات والأرض إذا قضىٰ أمراً فإنما يقول له كن فيكون وأنه بكل شيء عليم وأنه تعالىٰ مريد للكائنات مدبر للحادثات وأنه لا يكون كائن من خير أو شر أو نفع أو ضر إلا بقضائه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولو اجتمع الخلق كلهم علىٰ أن يحركوا في الوجود ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا عنه وأنه تعالىٰ سميع بصير وأنه سبحانه الخالق لكل شيء والرازق له والمدبر والمتصرف فيه كيف يشاء ليس له في ملكه منازع ولا مدافع متصف بصفات الجلال منزه عما لا يليق بجلاله.

(١) يجب علىٰ كل مكلف أن يعتقد أن لله ملائكة عليهم السلام خلقوا من غير واسطة أب ولا أم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة بل هم عباد مكرمون جبلوا علىٰ الطاعة التامة ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] وهذا إجمالاً ويجب الإيمان تفصيلاً بعشرة منهم ذكرهم الناظم بقوله:

تفــصيل عــشر مــنهم جبريــل ... ميكــال إسرافيــل عزرائيــل

منكــر نكــير ورقيــب كــذا ... عتيــد مالــك ورضــوان احتــذىٰ

(٢) يجب الإيمان بكتب الله تعالىٰ إجمالاً وتفصيلاً أما الإجمال فكما قال تعالىٰ ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٥] وأما التفصيل فبأربعة كتب هي توراة موسىٰ وزبور داود وإنجيل عيسىٰ والقرآن الكريم المنزل علىٰ سيدنا محمد ﷺ قال تعالىٰ ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] وقال تعالىٰ ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤] والقرآن ناسخ لكل الكتب قبله.

(٣) يجب التصديق بأن لله رسلاً وأنبياء علىٰ الإجمال كما يجب الإيمان تفصيلاً بخمسة وعشرين منهم أولهم سيدنا آدم وآخرهم سيدنا محمد صلىٰ الله عليهم أجمعين وواجب في حقهم الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة ومستحيل في حقهم البلادة والكذب والخيانة والكتمان والرسل معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها علىٰ المختار بل هو الصواب.

(٤) يجب علىٰ كل مكلف أن يصدق باليوم الآخر قال تعالىٰ ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وبما اشتمل عليه من الأمور العظام كالبرزخ ونعيم القبر وعذابه إلىٰ غير ذلك من الأهوال وإنما وصف بالآخر لأنه آخر يوم محدود.

(٥) قال تعالىٰ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦] وقال تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١] والآيات في الباب كثيرة.

(٦) أي ونؤمن بأنه تعالىٰ قدر في الأزل ما سيقع من الأشياء خيراً كان أو شراً وعلم أنه سيقع في زمان ومكان حددهما وعلىٰ صفات مخصوصة أرادها فهو يقع حتماً فيما لا يزال بقدرته علىٰ حسب ما قدره وأراده سبحانه أزلاً وحسب ما اقتضته حكمته تعالىٰ ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ =

ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به[1] وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بقدر جنايتهم بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته[2] وذلك بأن

= [الفرقان: ٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] فهو واقع منه تعالى خلقاً وإيجاداً ومن العبد فعلاً واكتساباً ولذا يثاب عليه ويعاقب ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١] أي قدره وقضاه ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] ومن الأدب في غير مقام التعليم والبيان أن لا ينسب الشر إليه تعالى وإن كان هو الخالق المقدر له فافهم.

وأما القضاء من الله تعالى فهو فصل الأمر بعد تقريره فهو أخص من القدر ا. هـ. مخلوف.

(١) أي ونحن أيها المسلمون مؤمنون من صميم أفئدتنا بما تقدم مما يجب الإيمان به إجمالاً وتفصيلاً فلا يمكن لمسلم أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض لأنه إذا فعل كان كافراً كما قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١] ولا نفرق بين أحد من رسله من حيث النبوة والرسالة بل نؤمن بهم جميعاً لأن من لم يؤمن بواحد من الرسل كان كافراً بالجميع لأن كل واحد منهم بعث بتصديق الجميع فيجب تصديقهم كلهم على ما جاءوا به جعلنا الله من المؤمنين حقا. آمين.

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك وغيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته المقبولة والموفق الذي لم يأت معصية أصلاً فكل هذا الصنف يدخل الجنة ولا يدخلون النار أصلاً لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو بمشيئة الله تعالى فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعل كالقسم الأول وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل وهذا مختصر جامع لمذاهب أهل الحق في هذه المسألة وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وأجماع من يعتد به على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تحصّل العلم القطعي فإذا =

الله مولىٰ أهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نُكْرَتِهِ الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسّكنا بالإسلام حتىٰ نلقاك به(١).

ونرىٰ الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ونصلي علىٰ من مات منهم(٢).

ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً(٣) ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك ولا نفاق ما لم يظهر منهم من ذلك شيء ونذر سرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ(٤) ولا نرىٰ السيف علىٰ أحد من

= تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة لها وجب تأويله عليها ليجمع بين نصوص الشرع انتهىٰ.

وهذا عين ما قرره الطحاوي رحمه الله واعلم أنه قد ثبتت شفاعة الشافعين في أحاديث كثيرة متواترة المعنىٰ منها حديث أبي سعيد الطويل في الصحيحين قال في آخره فيقول الله تعالىٰ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين.

(١) بين المصنف في هذا الكلام سبب استحقاق المؤمنين الجنة والكافرين النار والمراد بأهل معرفته المؤمنون وبأهل نكرته الجاحدون لتوحيده وقدرته اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا علىٰ الإسلام حتىٰ نلقاك به راضياً عنا فإنك المتفضل والمنعم بفضلك ورحمتك يا أرحم الرحمين آمين

(٢) هذا من الفروع لا من أصول الاعتقاد والمعنىٰ نرىٰ فقهاً أن الصلاة جائزة خلف كل بر وفاجر بأن كان مسلماً سواء كان فسقه بارتكاب المعاصي أو بكونه مبتدعاً ما لم يكفر ببدعته ففي البخاري أن عبدالله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف قال الشافعي وكفىٰ به فاسقاً وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال في الأئمة يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطاؤا فلكم وعليهم.

ونرىٰ فقهاً الصلاة علىٰ من مات من الأبرار والفجار لأن الغرض من الصلاة علىٰ الميت الدعاء له والمسلم العاصي أحوج إلىٰ ذلك من غيره.

(٣) المعنىٰ لا ينبغي أن نقول لأحد معين أنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من أخبر عنه الصادق المختار ﷺ لأن الأعمال بالخواتيم والعبرة بالباطن وما مات عليه ونحن لا نحيط به ولكن نرجو للمحسن الجنة ونخاف علىٰ المسيء. وقد سبق ذكر اختلاف العلماء في جواز الشهادة بالجنة.

(٤) يعني لا ينبغي لأحد منا أن يشهد علىٰ أحد من المسلمين بأنه كافر أو مشرك أو منافق وإن عمل ما عمل من الذنوب ما لم يظهر منه الكفر أو النفاق لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر ونهينا عن التفتيش عن بواطن العباد ولأن الحكم بالكفر علىٰ أحد من أهل القبلة كبيرة من الكبائر بل إنه إذا اعتقد حل ذلك أو أن الدين الذي يعتنقه أخوه المسلم كفر فهو كافر قال صلىٰ الله عليه وسلم (من كفَّر مسلماً فقد كفر) أخرجه أبو داود وقال صلىٰ الله عليه وسلم (أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) أخرجه البخاري.

أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف[١] ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا[٢] ولا ندعو على أحد منهم[٣] ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية[٤] وندعو لهم بالصلاح والنجاح والمعافاة. ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة[٥] ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة[٦] ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في

---

(١) أي ولا نعتقد السيف أي سفك الدم جائزاً على أحد من أفراد أمة سيدنا محمد ﷺ إلا على من وجب أي ثبت وحق عليه السيف أي سفك دمه به بأن ثبت عليه ذلك بالنص القاطع كالقاتل بشرطه والزاني المحصن والمرتد روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «لا يحل دم أمرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة».

واعلم أنه يجب على المسلمين نصب إمام عدل يقوم بتنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وإقامة الجمع والجماعات وأخذ الصدقات وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية ويجب لهم علينا أن نسمع ونطيع في غير معصية إذ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

(٢) بالظلم علينا ولكن يجب علينا نصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة كما يجب علينا سلوك السبل السليمة في كفهم عن الظلم ومنعهم من الجور لقوله صلى الله عليه وسلم «الدين النصيحة» فإن أصروا نصبر ولا نعينهم على ظلم وهذا في غير الكفر البواح أما فيه فلا سمع ولا طاعة ولا صبر ولا سكوت والمسألة من مباحث الفقه روى الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة الجاهلية»

(٣) بل ندعو لهم بالصلاح والهداية والتوفيق.

(٤) فإن أمروا بها فلا سمع ولا طاعة لقوله صلى الله عليه وسلم «إنما الطاعة في المعروف»

(٥) أي ومما يجب علينا اتباع طريقة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين والأئمة المهديين ومنهم الأشعري والماتريدي وأتباع جماعة المسلمين وهم الصحابة والسلف الصالح ومن تبعهم من المسلمين إلى يوم الدين لأنَّ اتباعهم هدى والشذوذ عنهم ضلال كما يجب علينا القضاء على الخلاف والتفرق والشذوذ في جميع أحوالنا لاسيما في أصول الدين فإنما هلك من قبلنا بسبب الخلاف والتفرق قال تعالى ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

(٦) الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان كما جاءت به الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم واعلم أن في بعض النسخ هنا زيادة هي (ونقول الله اعلم فيما اشتبه علينا علمه) قال العلامة البابرتي في شرحه إنما ذَكَر هذا لئلا يقع في الشك فيما ذكرنا من العقائد عندما يشتبه عليه شيء أو يعتريه سؤال ولا يمكن دفعه فحينئذٍ يجب عليه أن يفوض أمر ذلك وعلمه إلى الله فإنه هو العالم بحقائق الأشياء لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ولا يمكن للبشر معرفة كنه دقائق الأشياء وحقائقها إلا بتعليم =

الأثر[١] والحج والجهاد فرضان ماضيان مع أولي الأمر من أئمة المسلمين برّهم وفاجرهم لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما[٢] . ونؤمن بالكرام الكاتبين وأن الله قد جعلهم حافظين[٣] .

ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين[٤] وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وبسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة ﷺ أجمعين[٥] والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من

= وإلهام من الله فإن الملائكة مع صفاء جواهرهم اعترفوا بالعجز عن العلم من ذواتهم حيث قالوا ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] فكيف البشر مع شواغلهم عن التوجه إلى جناب القدس وقد قال الله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١) قال البابرتي في شرحه إنما ذكر هذا رداً على أهل الرفض فإنهم أنكروا جواز المسح على الخفين وهذا وإن كان من أحكام الفقه لكنه لما اشتهرت فيه الآثار ألحقه بالعقائد دفعاً لإنكار المنكرين قال أبو الحسن الكرخي إني لأخشى الكفر على من لا يرى المسح على الخفين.

(٢) لا يفهم من كلام الطحاوي أن الإمام شرط في الحج والجهاد بل غاية ما فيه أن الإمام إن كان فاجراً فإن ذلك لا يقدح في جواز الحج معه أو مع نائبه وكذلك الجهاد والمسألة فقهية.

(٣) قال تعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقال ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

(٤) قال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] فيتحتم علينا أن نؤمن بملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند انتهاء آجالها لكل العالمين من أنس وجن وملك وسائر الحيوانات حتى البراغيث والبعوض براً وبحراً حتى روح نفسه.

(٥) قال البخاري في صحيحه باب ما جاء في عذاب القبر وقوله تعالى ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] هو الهوان والهون الرفيق وقوله جل شأنه ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] وقال تعالى ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] أ.ه وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت عليَّ عجوزان من عُجُز يهود المدينة فقالتا لي إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل عليَّ النبي ﷺ فقلت له يا رسول الله إن عجوزين – وذكرت له– فقال صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. وفي صحيح مسلم عن طاوس قال سمعت أبا هريرة ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ «عوذوا بالله من عذاب الله عوذوا بالله من عذاب القبر عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات» وأدلة =

حفر النار[١] ونؤمن بالبعث[٢] وبجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب[٣] والثواب والعقاب[٤] والصراط[٥] والميزان يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشر والطاعة والمعصية[٦] .

= عذاب القبر كثيرة والمراد بعذاب القبر أعم من أن يكون عذاباً فقط في القبر بل في الحياة البرزخية وهي الحياة المتوسطة بين الدنيا والآخرة وإن تناثرت أجزاؤه أو لم يدفن في قبر وكما أنه يوجد عذاب في القبر فإنه كذلك يوجد نعيم فيه.

(١) والقبر بعد ذلك على صاحبه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار بحسب الثبات والارتياب أخرج الترمذي والنسائي والحاكم بسند صحيح عن عثمان بن عفان ﷺ أن القبر أول منزل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه واعلم أن أهل الحق اتفقوا على أن الله تعالى يخلق في الميت نوع حياة في القبر قدر ما يتألم ويلتذ لكن اختلفوا في أنه هل تعاد الروح إليه أم لا والمنقول عن الإمام الأعظم أبي حنيفة ﷺ التوقف.

(٢) لجميع العباد ويعيدهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ويعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء بينهم، وهذا كله ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقد ورد فيه من الآيات الدالة عليه ما يقارب في الكثرة آيات الأحكام وأكثرها لا يحتمل التأويل مثل قوله تعالى ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨-٧٩] وقوله ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] وقوله ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١] وقوله ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤] وقوله ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤] وقوله ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وأما السنة فقد ورد في ذلك ما يبلغ جملته مبلغ التواتر المعنوي، ولا شك الآن أن الحشر صار من ضروريات الدين فإنكاره كفر يقيناً. كذا ذكره اللقاني.

(٣) أي كتاب عمله قال تعالى ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

(٤) ونؤمن بالثواب من الله للمطيع تفضلاً منه سبحانه حسب ما وعد به وهو لا يخلف الميعاد ونؤمن بالعقاب للعاصي عدلاً منه سبحانه وتعالى لوعيده على ذلك والآيات في هذا كثيرة.

(٥) أثبت أهل السنة الصراط واختلفوا في كيفيته.

(٦) قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩] وقال تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال تعالى ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان ولا يبيدان وإن الله تعالى خلق الجنة والنار وخلق لهما أهلاً فمن شاء إلى الجنة أدخله فضلاً منه ومن شاء منهم إلى النار أدخله عدلاً منه[١] وكل يعمل لما قد فرغ منه[٢] وصائر إلى ما خلق له[٣] والخير والشر مقدران على العباد.

والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق بها تكون مع الفعل وأما الاستطاعة من الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٤] وأفعال العباد

---

(١) يجب على كل مسلم أن يؤمن بوجود الجنة والنار وأنهما داران أعدهما الله تعالى لعباده فالجنة مثوى المؤمنين والنار مستقر الكافرين وأن الناس بعد أخذ الصحف يوم القيامة والحساب يذهب بفريق منهم إلى الجنة وهم المؤمنون وفريق إلى النار وهم الكفار وبعض عصاة المؤمنين ثم يخرج بعض عصاة المؤمنين الذين دخلوا النار فلا يبقى في النار إلا الكفار والمنافقون الذين هم كفار حقيقة قال تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۞ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧١-٧٤].

وقد وردت آيات القرآن الكريم في وصف الجنة والنار وأحوال أهلها وطعامهم وشرابهم بما لا يخفى على كل مؤمن ومما يجب اعتقاده في الجنة والنار أنهما دائمتان لا تفنيان أبداً وكذلك من فيهما ويكفر من اعتقد فناءهما أو واحدة منهما لقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] ولقوله تعالى ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ولقوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] وقال تعالى في أهل الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

(٢) جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لسيدنا ابن عباس رضي الله عنهما «رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي وعند أحمد «وقد جف القلم بما هو كائن».

(٣) وصائر بتقدير الله إلى ما خلق له ومستوفٍ ما قدر له.

(٤) الاستطاعة لها اطلاقان فتطلق تارة ويراد بها المعنى الأول الذي ذكره بقوله التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق ويقال لها القدرة التي يخلقها الله في العبد عند اكتساب الخير تكون مع الفعل فلا يوصف بها =

هي بخلق الله تعالى وكسب من العباد[1] .

= المخلوق وعند اكتساب الشر تسمى خذلاناً ويكون للعبد نوع اختيار في الإقدام عليهما فيثاب على الأول ويعاقب على الثاني وتطلق تارة ويراد بها المعنى الثاني في كلام المصنف من الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي بهذا الإطلاق تكون قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب والتكليف قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] والجمهور على أنها شرط لأداء الفعل لا علة وبالجملة هي صفة يخلقها الله تعالى عند قصد اكتساب الفعل بعد سلامة الأسباب والآلات فإن قصد فعل الخير خلق الله تعالى قدرة فعل الخير وإن قصد فعل الشر خلق الله قدرة فعل الشر وكان هو المضيع لقدرة فعل الخير فيستحق الذم والعقاب ولهذا ذم الله تعالى الكافرين بأنهم لا يستطيعون السمع.

(١) أي ونقول جميع أفعال العباد هي مخلوقة لله تعالى قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الزمر ٦٢ ونقول كذلك أن أفعال العباد بكسب العباد فيحاسبون عليها قال تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال تعالى ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] وقال تعالى ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] وقال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] وتبسيط المسألة وبيانها أن نقول معنى الخلق الإيجاد بعد العدم والمخلوق هو الموجود بعد العدم ومعنى الاختيار هو حصول إرادة الفعل فيك ولا يشترط في الاختيار أن تخلق أنت الفعل بل لو أوجده لك غيرك وأنت اخترته فقط لصح أن يقال أنك الذي اخترت هذا الفعل وصح نسبة الفعل إليك عن طريق الكسب مع أنك لم توجده فكونك مختاراً لا يشترط له أن تكون خالقاً بل العكس هو الصحيح أي إذا سلمنا أنك خالق فيجب أن تكون مختاراً لأن شرط الخلق الاختيار ولا يقال أن شرط الاختيار الخلق فافهم هذا فالإنسان مختار وليس خالقاً فهو مختار لأفعاله وليس خالقاً لها ولا يترتب على ذلك كونه مجبوراً لأن الجبر هو حصول الفعل على خلاف الإرادة وهنا لم يحصل الفعل إلا على وفاق الإرادة فكيف يقال أن الإنسان مجبور؟ ولكن غاية ما وقع هو أن الإنسان ليس هو الذي خلق الفعل بل الله هو الذي خلقه وأما الإنسان فهو الذي اكتسبه فالفعل منسوب إلى الإنسان كسباً وإلى الله تعالى خلقاً وقرر أهل السنة أن مفهوم الكسب غير مفهوم الخلق فآيات القرآن تنسب الخلق إلى الله تعالى وتنفي الخلق عن غير الله وآيات القرآن تنسب الكسب إلى العبد فعلمنا أن العبد فاعل على سبيل الكسب وأن الله تعالى فاعل لا على سبيل الكسب بل على سبيل الخلق وعلمنا أن الكسب ليس خلقاً وعلمنا أن الكسب كافٍ في ترتب الثواب والعقاب بل كافٍ في ترتيب التكاليف على الإنسان والله أعلم.

ولم يكلفهم إلا ما يطيقونه ولا يطيقون إلا ما كلفهم وهو حاصل تفسير قول لا حول ولا قوة إلا بالله تقول لا حيلة ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة والثبات عليها إلا بتوفيق الله(١) . وكل شيء يجري بمشيئة الله عز وجل وعلمه وقضائه وقدره غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً تقدس عن كل سوء وتنزه عن كل عيب وشين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون(٢) .

وفي دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم منفعة للأموات(٣) والله تعالى يستجيب

---

(١) أي أن الله تعالى لم يكلف أحداً بما ليس في وسعه ولا في طاقته لأنه تعالى يقول ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] والتكليف بما لا يطاق غير واقع باتفاق سواء كان ممتنعاً في نفسه كالجمع بين الضدين أو ممكناً في نفسه ولكنه ممتنع لغيره كخلق الأجسام والطيران من الإنسان والعباد ليس لهم طاقة إلا بما كلفوا به مما في وسعهم وقدرتهم التي أقدرهم الله عليها وهذا حاصل تفسير الحوقلة كما فسرها المصنف رحمه الله.

(٢) ونقول أن كل شيء كان أو كائن أو سيكون لا يجري ولا يحصل إلا بمشيئة الله عز وجل فإن شاءه كان وإن لم يشأه لم يكن ولا يجري إلا وقد سبق في علمه وقضائه وقدره كيف يكون بتحقيق وفي أي مكان وزمان بتدقيق فهو سبحانه الذي غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه وقدره الحيل كلها فلو اجتمع الخلائق كلهم على إيجاد شيء لم يشأه الله تعالى لم يقدروا على إيجاده ولو بذلوا الحيل كلها في منع شيء قضاه الله وقدره لم يقدروا على منعه لأنه تعالى يفعل ما يشاء ويريد ما شاء والكون كله ملكه يتصرف فيه كيف يشاء وهو سبحانه وتعالى غير ظالم في أفعاله وتصرفاته أبداً لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير كرهاً وهذا مستحيل عقلاً في حقه تعالى لأن جميع الكائنات ملك لله تعالى والمالك له التصرف في ملكه كيف يشاء وهو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه الخبير بمصالح عباده والظلم من صفات النقصان والله تعالى متصف بكل كمال منزه عن كل نقص تقدس وتنزه وتبارك تعالى عن كل سوء وعيب وشين سبحانه جل في علاه لا يسئل عما يفعل لأنه يتصرف في خالص ملكه وهم يسئلون كما ذكر ذلك في كتابه العزيز.

(٣) قال العلامة الغنيمي الميداني في شرحه على العقيدة الطحاوية بعد أن ذكر دعاء أن الأحياء فيه منفعة للأموات وقد توارث السلف له فلو لم يكن للأموات نفع فيه لما كان له معنى وقال عليه الصلاة والسلام «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفعوا فيه» مسلم وعن سعد بن عبادة أنه قال يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأي صدقة أفضل قال الماء فحفر بئراً وقال هذه لأم سعد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والأحاديث والآثار في هذا الباب أكثر من أن تنحصر ا.هـ

الدعوات ويقضي الحاجات[١] ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ولا يُستغنىٰ عن الله طرفة عين ومن استغنىٰ عن الله طرفة عين فقد كفر وكان من أهل الخسران[٢] وإن الله يغضب ويرضى لا كأحد من الورىٰ[٣] ونحب أصحاب النبي ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق لا نذكرهم ونرىٰ حبهم ديناً وإيماناً وإحساناً وبغضهم كفراً وشقاقاً ونفاقاً وطغياناً[٤] . ونثبت الخلافة بعد النبي ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً وتقديماً علىٰ جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين وهم الخلفاء

---

(١) ذكر العلامة الطحاوي هذا هنا لئلا يتوهم متوهم أن الدعاء يؤثر بنفسه بل الله تعالىٰ هو الذي يستجيب الدعاء فالأثر إنما هو صادر من الله تعالىٰ وهو الذي يقضي الحاجات سبحانه وتعالىٰ.

(٢) الله تعالىٰ هو الغني المطلق والخلق كلهم مفتقرون إليه قال تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] فمن زعم أنه استغنىٰ عن الله طرفة عين فقد كذب وكفر لمصادمته نص القرآن ولأن الاستغناء صفة الربوبية والافتقار صفة العبودية ولا يستغني العبد عن الرب جل جلاله والله هو الغني الحميد.

(٣) نؤمن بذلك علىٰ المعنىٰ الذي أراده ونتنزه الله عما لا يليق بجلاله إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

(٤) بين الطحاوي رحمه الله هنا طريقة أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين فالواجب علىٰ كل مسلم ومسلمة حب أصحاب رسول الله محبة صادقة لأنهم أحباب الله قال تعالىٰ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] ولا نفرط في حب أحد منهم أي لا نقصر في حب أحد منهم بل نحبهم أجمعين هذا إن قرئ نفرط بالتشديد أما إذا قرئ بالتخفيف من الإفراط معناه لا نتجاوز الحد في حبهم بأن ندعي نبوة أحد منهم أو إلاهيته.

ولا نتبرأ من أحد منهم أي لا نترك حب أحد منهم بأن نكرهه أو نبغضه لأن ذلك ليس من صفات المسلم بل ذلك من شعار المنافقين نسأل الله السلامة وفي ذلك الفعل القبيح إيذاء لرسول الله ﷺ القائل (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله ومن آذىٰ الله يوشك أن يأخذه) الترمذي والله يقول ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] لذلك قال الطحاوي ويجب علينا أن نبغض من يبغضهم لأننا نرىٰ بغض أصحاب رسول الله كفراً وشقاقاً ونفاقاً وطغياناً.

الراشدون والأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون[١] وإن العشرة[٢] الذين سماهم رسول الله ﷺ نشهد لهم بالجنة كما شهد لهم رسول الله ﷺ وقوله الحق وهم: أبوبكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه، وطلحة رضي الله عنه، والزبير رضي الله عنه، وسعد رضي الله عنه، وسعيد رضي الله عنه، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه، وهو أمين هذه الأمة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن أحسن القول في أصحاب النبي ﷺ وأزواجه وذرياته فقد برئ من النفاق[٣] . وعلماء السلف من الصالحين والتابعين ومن بعدهم من أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لايذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[٤] ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء[٥] ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم[٦] .

ونؤمن بأشراط الساعة منها خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء وبطلوع

---

(١) اعلم أن خلافة الأئمة الأربعة ثابتة بالإجماع وكذا ترتيبهم في الخلافة أيضاً وأما ترتيبهم في الفضل فكترتيبهم في الخلافة كما عليه جمهور أهل السنة والجماعة.

(٢) أفردتهم برسالة مطبوعة اسمها كتاب الأربعين في فضائل العشرة المبشرين بجنات رب العالمين.

(٣) إنما قال الطحاوي رحمه الله فقد برئ من النفاق لأن أول من أحدث الطعن والخوض في أصحاب رسول الله ﷺ وقال بالإفك في زوجاته عليه الصلاة والسلام وأساء الظن فيهم المنافقون قاتلهم الله.

(٤) ونقول علماء السلف من السابقين الصالحين يجب متابعتهم وذكرهم بالجميل لأنهم هداة الأمة ورؤساؤها وهم المؤمنون حقاً وقد شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية حيث قال صلى الله عليه وسلم «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» البخاري فمن ذكر هؤلاء الأخيار من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين بغير الجميل فهو على غير سبيل المؤمنين والعياذ بالله.

(٥) لأن الأنبياء معصومون وقد خصهم الله بخصائص لم يخص بها أحداً من خلقه فهم صفوة الله من عباده ولأن درجة النبوة لا تنال بالاجتهاد بخلاف الولاية واعتقاد أفضلية الأولياء على الأنبياء زيغ وضلال وأفضل الأولياء أصحاب رسول الله ﷺ ومحبة الأولياء واجبة سواء في ذلك الحي والميت ولا يجوز ذكرهم بما ينقصهم قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه قال تعالى «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» البخاري.

(٦) الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدي يظهر على يد عبد صالح متبع للشريعة وكرامات الأولياء ثابتة بواضح البراهين ومشهورات الأحاديث.

الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها(١) ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً(٢) ولا من يدعي شيئاً بخلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة(٣) ونرى الجماعة حقاً وصواباً والفرقة زيغاً وعذاباً(٤).

ودين الله في السماء والأرض واحد وهو دين الإسلام كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾(٥) وقال ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾(٦) وقال تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾(٧) وهو بين الغلو والتقصير والتشبيه والتعطيل والجبر والقدر والأمن واليأس(٨).

---

(١) قال حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ «اطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوفات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة والأحاديث الصحاح في هذه الأشراط كثيرة وقد أفردها العلماء بالكتابة.

(٢) ولا نصدق كاهناً هو من يخبر عن المغيبات ولا عرافاً بالتثقيل بمعنى المنجم والكاهن وقيل العراف يخبر عن الماضي والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل ذكره في المصباح وفي شرح العقائد وتصديق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر لقوله صلى الله عليه وسلم «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» أحمد والحاكم وصححه وأقره الذهبي وقال العراقي حديث صحيح.

(٣) أي لا يجوز لنا أن نصدق من يدعي شيئاً يخالف ما ذكر لأن الدين قد تكفل به الله وجمعه في كتابه العزيز الذي فيه تبيان كل شيء وبينته السنة المطهرة كما أيده بالعلماء المجتهدين الذين لا يجتمعون على ضلالة فهو محفوظ بحفظ الله إلى قيام الساعة فمدعي شيئاً مخالفاً للدين دجال ضال لا يجوز لأحد من المسلمين تصديقه.

(٤) أي ونعتقد أن ما أجمع عليه المسلمون والسواد الأعظم وأهل السنة حقاً وصواباً ونعتقد الفرقة أي الانفراد والشذوذ عن جماعة المسلمين زيغاً وعذاباً قال تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار» الترمذي.

(٥) آل عمران١٩.

(٦) آل عمران٨٥.

(٧) المائدة٣.

(٨) هذه الآيات تصرح بأن الإسلام هو الدين المرضي المقبول وغيره مردود على صاحبه غير مقبول من عامله ودين الإسلام متوسط بين الغلو أي مجاوزة الحد والتقصير أي التفريط في إقامة حدوده كما أن دين الإسلام متوسط بين التشبيه والتعطيل أي ليس فيه تشبيه الله بمخلوقاته وليس فيه تعطيل لما أثبته =

فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن نبرأ إلى الله تعالى ممن خالف الذي ذكرناه وبيناه ونسأل الله أن يثبتنا عليه ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلطة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية كالمشبهة(١) والجهمية(٢) والجبرية(٣) والقدرية(٤) وغيرهم ممن خالف السنة والجماعة واتبع البدعة والضلالة ونحن منهم برَآء وهم عندنا ضلال وأردياء والله اعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب(٥).

= الله لنفسه من صفاته ومتوسط بين الجبر والقدر لما مر أن العقيدة الصحيحة إثبات أن العبد ليس مجبوراً محضاً ولا مختاراً بل أفعال العباد مخلوقة لله تعالى تقع بكسب من العباد وأن الأشياء كلها بقدر الله خيرها وشرها والإسلام متوسط بين الأمن واليأس لأن الأمن من مكر الله واليأس من رحمة الله طريق الكافرين كما مر نسأل الله الحفظ والسلامة.

فائدة: اعلم أن لقب الإسلام خاص بهذه الملة الشريفة ووصف للمسلمين خاص بهذه الأمة المحمدية ولم يوصف به أحد من الأمم السابقة سوى الأنبياء فقط فشرفت هذه الأمة بأن وصفت بالوصف الذي كان يوصف به الأنبياء تشريفاً لها وتكريماً هذا هو الصحيح الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة والله اعلم.

(١) هم قوم شبهوا الله بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات.

(٢) هم أصحاب جهم بن صفوان قالوا لا قدرة للعبد أصلاً بل هو بمنزلة الجمادات وقالوا بفناء الجنة والنار.

(٣) كالجهمية منهم من لا يثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً وهم الجبرية الخالصة ومنهم من يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة وهم الجبرية المتوسطة.

(٤) هم الذين يزعمون أن الله لا يقدر الشر وأن كل عبد خالق لفعل نفسه.

(٥) يقول الفقير إلى رحمة ربه محمد أحمد محمد عاموه وأنا أعتقد ما قرر الطحاوي من عقيدة أهل الحق وأقول بما قال به أبو حنيفة وصاحباه وأعتقد ما يعتقدونه وأؤمن بما يؤمنون به وأشهد بما يشهدون به وأشهد الله تعالى على ذلك وكفى بالله شهيدا، على ذلك نحيا وعلى ذلك نموت وعلى ذلك نبعث إن شاء الله من الآمنين وأسألك يا إلهي إذا نزلت قبري، وخلوت بوزري، وأسلمني أهلي في غربتي أن تؤنس وحشتي، وتوسع حفرتي، وتكتب على ناصية مصيبتي في لوح صحيفتي بقلم عفوك: اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين• وإذا جمعت رفاتي، وحشرتني يوم ميقاتي، فنشرت صحيفة سيئآتي وحسناتي، أنظر إلى عملي فما كان حسناً فاصرفه في أمر أوليائك، وما كان من قبيح، فمل به إلى ساحل عتقائك، ثم إذا أوقف عبدك بين يديك، ولم يبق إلا الافتقار إليك، واعتماده عليك، فقس بين غناك وفقره، وبين عزك وذله، ثم افعل به ما أنت أهله إنك أهل التقوى وأهل المغفرة وهذه وسيلتي إليك، تطفلاً عليك، وصلى الله على سيدنا محمد فإنه أقرب من يتوسل به إليك والمأمول منك القبول.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
ترجمة الإمام الطحاوي رحمه الله	٦
سندي إلى العقيدة الطحاوية	٨



دار النور المبين للنشر والتوزيع

عمان، الأردن، تلفاكس: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com

www.darannor.com